كتاب اقاويل الثقات

في تاويل الاسماء والصفات والايات المحكمات والمتشابهات

تاليف الشيخ الامام العمدة الهمام
الشيخ مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
ستر الله عيوبه وغفر ذنوبه
وغفر له ولوالديه
وللمسلمين اجمعين
امين امين
امين

لمؤلفه

يا من غدا ناظرا فيما جمعت ومن … اضحى يردد فيما قلته النظرا
ناشدتك الله ان عاينت لي خطأ … فاستر علي فخير الناس من سترا

بسم الله الرحمن الرحيم

قال العبد الفقير الى الله تعالى مرعي بن يوسف الحنبلي المقدسي
الحمد لله المنزه عما يخطر بالبال، او يتوهم من الفكر والخيال،
المحتجب برداء العز والجلال، لا تدركه الابصار وهو يدرك الابصا[ر]
وهو اللطيف الخبير، تحيرت العقول في حقيقة ذاته، وتخبطت
الافهام في اسمايه وصفاته، واندهشت الابصار من جلال الحضرة
ليس كمثله شي وهو السميع البصير، والصلاة والسلام على من
منحته بعناية تكرمتك، وخصصته بمشاهدة رويتك،
وهو مع ذلك يقول سبحانك ما عرفناك حق معرفتك، يا من ليس
له نظير، وعلى اله واصحابه الذين سلكوا طريق الادب مع الله
ورسوله وسلموا فسلموا من مزلة القدم ومذلة التقصير،
وبعد فان العلم بالتفسير امر مهم، والعلم بالتاويل اهم،
وتصفية القلب من شوايب الاوهام اسنى واتم، ومن السلامة
للمرء في دينه اقتفا طريقة السلف الذين امران يقتدي بهم
من جا بعدهم من الخلف، فمذهب السلف اسلم، ودع ما قيل
من ان مذهب الخلف اعلم، فانه من زخرف الاقاويل، وتحسين
الاباطيل، فان اوليك قد شاهدوا الرسول والتنزيل، وهم
ادرى بما نزل به الامين جبريل، ومع ذلك فلم يكونوا يخوضوا في
حقيقة الذات، ولا في معاني الاسما والصفات، ويومنون بمتشابه
القران، وينكرون على من يبحث عن ذلك من فلان وفلان، وانكار
الامام مالك على من ساله عن معنى الاستوى امر مشهور وهو في عدة

من

من الكتب منقول مسطور هذا وقد احببت ان اذكر بعض كلام
الايمة الخايضين في معاني الاسما والصفات، الواردة في الاحاديث والايات
وان كان الاولى ترك ذلك خوف الوقوع في الزلل الذميم، لكن لا باس بذلك
مع قصد الارشاد والتعليم، هذا ولم اقف في هذا الفن على مصنف
ولم اظفر فيه بمولف، وانما جمعته من كلام الايمة متفرقا وضممته هنا
ملفقا يحتاج اليه الطالب، وهو من اجل المطالب وسميته
اقاويل الثقات في تاويل الاسما والصفات، فاقول وبالله
التوفيق، ومنه ارجو الهداية الى اقوم طريق مقدمة اعلم
وفقك الله ان التفسير هو بيان معنى اللفظ الخفي والتاويل
هو ان يراد باللفظ ما يخالف ظاهره او هو صرف اللفظ عن ظاهره
لمعنى اخر وهو في القران كثير ومن ذلك ايات الصفات المقدسة وهي
من الايات المتشابهات وقد اختلفوا فقيل القران كله محكم
لقوله تعالى كتاب احكمت اياته وقيل كله متشابه لقوله تعالى
نزل احسن الحديث كتابا متشابها والاصح انقسامه اليهما
والمراد باحكمت اياته اتقنت ونزهت عن نقص بمحكمها وبمتشابهها انه يشبه
بعضه بعضا في الحق والصدق والاعجاز واختلفوا في المحكم والمتشابه وقيل
المحكم ما وضح معناه والمتشابه نقيضه وقيل المحكم ما لا يحتمل من التاويل
الا وجها واحدا والمتشابه ما احتمل اوجها وقيل المحكم ما تاويله تنزيله
والمتشابه ما لا يدري الا بالتاويل وقيل المحكم ما لم تتكرر الفاظه وبله
المتشابه وقيل المحكم الفرايض والوعد والوعيد والمتشابه القصص
والامثال وقيل المحكم ما يعرفه الراسخون في العلم والمتشابه ما ينفرد الله بعلمه وقيل

المتشابه الحروف المقطعة في اوايل السور وما سوي ذلك محكم وقيل المحكم غير
ذلك وقال جماعة من الاصوليين المحكم ما عرف المراد منه قيل ولو
بالتاويل والمتشابه ما استاثر الله بعلمه كالحروف المقطعة وهو معني قوله
بعضهم الصحيح ان المحكم هو المكشوف المعني الذي لا يتطرق اليه اشكال
واحتمال والمتشابه ما يتعارض فيه الاحتمال ويجوز ان يعبر به عن الاسماء
المشتركة كالقرء وكاللمس المتردد بين المس والوطي وقد يطلق علي ما ورد في صفات
الله تعالي مما يوهم ظاهره الجهة والتشبيه ويحتاج الي تاويله قيل
والحكمة في المتشابه الابتلا باعتقاده فان العقل مبتلي باعتقاد حقيقة المتشابه
كابتلاء البدن باداء العبادة وقيل هو لاظهار عجز العباد كالحكيم اذا صنف
كتابا اجمل فيه احيانا ليكون موضع خضوع المتعلم لاستاذه وكالملك
يتخذ علامة يمتاز بها من يطلعه علي سره ولانه لو لم يبتل العقل الذي هو اشرف
ما في الانسان لاستمر في ابهة العلم علي التمرد فبذلك يستانس الي التذلل بعز
العبودية والمتشابه هو موضع خضوع العقول لباريها استسلاما واعترافا
بقصورها وقال الفخر من الملحدة من طعن في القران لاجل اشتماله علي
المتشابهات وقال انكم تقولون ان تكاليف الخلق مرتبطة بهذا القران الي قيام
الساعة ثم انه يتمسك به كل ذي مذهب علي مذهبه فالجبري يتمسك بايات الجبر
كقوله وجعلنا علي قلوبهم اكنة الاية والقدري يقول هذا مذهب الكفار لقوله
وقالوا قلوبنا في اكنة مما تدعونا اليه وفي اذاننا وقر وقوله وقالوا قلوبنا
غلف ومنكر الرؤية متمسك بقوله لا تدركه الابصار ومثبت الجهة بايات الجهة
وغير ذلك ويسمي كل واحد الايات الموافقة لمذهبه محكمة والمخالفة له متشابهة
فكيف يليق بالحكيم ان يجعل الكتاب الذي هو المرجع في الدين هكذا قال

والجواب

والجواب ان العلما ذكروا لذلك فوايد كمزيد المشقة لزيادة الثواب وليجتهد في التاويل
فيه صاحب كل مذهب يعني فان اصاب فله اجران وان اخطا في الفروع فله اجر
وفي الاصول خلاف الي غير ذلك من الفوايد واختلفوا هل المتشابه مما يعلم
علي قولين منشاهما الوقف علي الله او العلم في قوله تعالي وما يعلم تاويله
الا الله والراسخون في العلم قال الامام الخطابي مذهب اكثر العلما ان الوقف
التام في هذه الاية علي الله وان ما بعده وهو قوله والراسخون في العلم استيناف
روي ذلك عن ابن مسعود وابي بن كعب وابن عباس وعايشة ومال الي
هذا الحافظ السيوطي في الاتقان وحكاه عن الاكثرين من الصحابة والتابعين
واتباعهم ومن بعدهم خصوصا اهل السنة قال وهو اصح الروايات عن ابن
عباس قال ويدل لصحة مذهب الاكثرين ما اخرجه عبد الرزاق في تفسيره
والحاكم في مستدركه عن ابن عباس انه كان يقرا وما يعلم تاويله الا الله ويقول
الراسخون في العلم امنا به فهذا يدل علي ان الواو للاستيناف لان هذه الرواية
وان لم تثبت بها القراة فاقل درجاتها ان تكون خبرا باسناد صحيح الي
ترجمان القران فيقدم كلامه في ذلك علي من دونه وعن الفراء ان في قراة
ابي بن كعب ايضا ويقول الراسخون وعن الاعمش قال في قراة ابن مسعود
وان تاويله الا عند الله والراسخون في العلم يقولون امنا به وذهب
قوم علي ان الواو في قوله والراسخون للعطف لا للاستيناف منهم مجاهد والضحاك
والربيع ابن انس ومحمد بن جعفر ويروي ايضا عن ابن عباس قال ابن عباس
انا ممن يعلم تاويله ورجح هذا جماعات من المحققين كابن فورك والغزالي و
القاضي ابي بكر بن الطيب وقال النووي انه الاصح وابن الحاجب انه المختار
محتجين ان الله تعالي لا يخاطب العرب بما لا سبيل الي معرفته لاحد من الخلق

وايضا فالايمان به واجب على عموم المومنين فلا يبقى لوصفهم بالرسوخ
في العلم وانهم اولوا الالباب فايدة تميزهم عن عموم المومنين **وقال**
اهل التحقيق والتحقيق انما المتشابه يتنوع فمنه ما لا يعلم بيقين البتة
كالحروف المقطعة في اوايل السور والروح والساعة مما استاثر الله بغيبه
وهذا لا يتعاطى علمه احد لا ابن عباس ولا غيره ومن قال من العلما الحذاق
ان الراسخين لا يعلمون المتشابه فانما اراد هذا النوع واما ما يمكن حمله
في وجوه اللغة فيتاول ويعلم تاويله المستقيم ويزال ما فيه من تاويل
غير مستقيم وقال الخطابي المتشابه على ضربين احدهما ما اذا رد الى المحكم
واعتبر به عرف معناه والاخر ما لا سبيل الى الوقوف على حقيقته وهو الذي
يتبعه اهل الزيغ فيطلبون تاويله ولا يبلغون كنهه فيرتابون فيه فيفتتنون
وقال الامام الراغب جميع المتشابه على ثلاثة اضرب ضرب لا سبيل
الى الوقوف عليه كوقت الساعة وخروج الدابة ونحو ذلك وضرب للانسان
سبيل الى معرفته كالالفاظ الغريبة والاحكام الغلقة وضرب متردد بين
الامرين يختص بمعرفته بعض الراسخين في العلم ويخفى على من دونهم وهو المشار
اليه بقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل
قال واذا عرفت هذا عرفت ان الوقوف على قوله وما يعلم تاويله الا الله ووصله
بقوله والراسخون في العلم جايزان وان لكل واحد منهما وجها حسبما دل عليه
التفصيل المتقدم وقال ايضا والمتشابه من جهة المعنى اوصاف الله
تعالى واوصاف القيامة فان تلك الصفات لا تتصور لنا اذ كان لا يحصل في
نفوسنا صورة ما لم نحسه او ليس من جنسه انتهى وهو كلام في غاية الحسن
والتحقيق **واختلفوا** هل يجوز الخوض في المتشابه على قولين **مذهب**

السلف

السلف واليه ذهب الحنابلة وكثير من المحققين عدم الخوض خصوصا
في مسايل الاسما والصفات فانه ظن والظن يخطي ويصيب فيكون
من باب القول على الله بلا علم وهو محظور ويمتنعون من التعيين
خشية الالحاد في الاسما والصفات ولهذا قالوا والسوال عنه بدعة يعني ان تعيينه
بطريق الظنون بدعة فانه لم يعهد من الصحابة التصرف في اسمايه تعالى وصفاته
بالظنون وحيث عملوا بالظنون فانما عملوا بها في تفاصيل الاحكام الشرعية لا في
المعتقدات **وروى** الشيخان وغيرهما عن عايشة رضي الله عنها قالت
تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الاية هو الذي انزل عليك الكتاب الى قوله
اولوا الالباب قالت فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم فاذا رايت الذين يتبعون
ما تشابه منه فاولئك الذين سمى الله فاحذرهم **وروى** الطبراني في الكبير
عن ابي مالك الاشعري انه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لا اخاف على
امتي الا ثلاث خلال ان يكثر لهم المال فيتحاسدوا فيقتتلوا وان يفتح لهم
الكتاب فياخذه المومن يبتغي تاويله وما يعلم تاويله الا الله **وفي حديث**
ابن مردويه ان القران لم ينزل ليكذب بعضه بعضا فما عرفتم فاعملوا به وما
تشابه فامنوا به **وروى** الحاكم عن ابن مسعود رضي الله عنه عن النبي
صلى الله عليه وسلم قال كان الكتاب الاول ينزل من باب واحد على حرف واحد
ونزل القران من سبعة ابواب على سبعة احرف ه زجر **و**امر **و**حلال
وحرام **و**محكم **و**متشابه **و**امثال فاحلوا حلاله وحرموا حرامه وافعلوا
ما امرتم به وانتهوا عما نهيتم عنه واعتبروا بامثاله واعملوا بمحكمه وامنوا
بمتشابهه وقولوا امنا به كل من عند ربنا **قال** البيهقي عن الشعب نحوه
من حديث ابي هريرة **قال** ابن جرير عن ابن عباس عن النبي صلى الله

قو

لعله في الشعب
اي شعب الايمان

عليه وسلم قال انزل القران علي اربعة احرف حلال وحرام لا يعذر احد بجهالته
وتفسير تفسره العرب وتفسير تفسره العلما ومتشابه لا يعلمه الا الله
ومن ادعى علمه سوى الله فهو كاذب ثم رواه من وجه اخر عن ابن
عباس موقوفا بنحوه **وروى** ابن ابي حاتم من طريق العوفي عن ابن
عباس رضي الله عنه قال نومن بالمحكم وندين به ونومن بالمتشابه ولا
ندين به وهو من عند الله كله **وقال** ايضا عن عايشة رضي الله عنها
قالت كان رسوخهم في العلم ان امنوا بمتشابهه ولا يعلمونه **وقال**
الدارمي في مسنده عن سليمان بن يسار ان رجلا يقال له صبيغ قدم
المدينة فجعل يسال عن متشابه القران فارسل اليه عمر وقد اعد له
عراجين النخل فقال من انت قال عبد الله ابن صبيغ فاخذ عمر
عرجونا من تلك العراجين فضربه حتى ادمى راسه ه وفي رواية
فضربه بالجريد حتى ترك ظهره دبره ثم تركه حتى برا ثم اعاد
عليه الضرب ثم تركه حتى برا فدعى به ليعيده عليه فقال
ان كنت تريد قتلي فاقتلني قتلا جميلا او ردني الي ارضي
فاذن له الي ارضه وكتب الي ابي موسى الاشعري ان لا يجالسه احد
من المسلمين **وفي** كتاب الفروع لابن مفلح الحنبلي ان عمر بن الخطاب
امر بهجر صبيغ بسواله عن الذاريات والمرسلات والنازعات
انتهى وضربه رضي الله عنه لسد باب الذريعة **والاية**
الشريفة قد دلت علي ذم متبعي المتشابه ووصفهم بالزيغ
وابتغا الفتنة وعلي مدح الذين فوضوا العلم الي الله وسلموا
اليه كما مدح الله المومنين بالغيب **قال** الامام فخر الدين

قف على قول صبيغ

صرف

صرف اللفظ عن الراجح الي المرجوح لا بد فيه من دليل منفصل وهو اما لفظي
او عقلي فالاول لا يمكن اعتباره في المسايل الاصولية لانه لا يكون قاطعا
لانه موقوف علي انتفا الاحتمالات العشرة المعروفة وانتفاوها مظنون
والموقوف علي المظنون مظنون والظني لا يكتفى به في الاصول واما العقلي
فانما يفيد صرف اللفظ عن ظاهره لكون الظاهر محالا واما اثبات
المعنى المراد فلا يمكن بالعقل لان طريق ذلك ترجيح مجاز علي مجاز
وتاويل علي تاويل وذلك الترجيح لا يمكن الا بالدليل اللفظي والدليل
اللفظي في الترجيح ضعيف لا يفيد الا الظن والظن لا يعول عليه
في المسايل الاصولية القطعية فلهذا اختار الايمة المحققون من السلف
والخلف بعد اقامة الدليل القاطع علي ان حمل اللفظ علي ظاهره محال
ترك الخوض عن تعيين التاويل انتهى وتوسط ابن دقيق العيد فقال
التاويل ان قرب في لسان العرب نحو علي ما فرطت في جنب الله اي في
حقه ولا يجب له الا ان بعد اي كتاويل استوى باستولى ذا تقرر هذا
فاعلم ان من المتشابهات ايات الصفات التي التاويل فيها بعيد
فلا تؤول ولا تفسر وجمهور اهل السنة منهم السلف واهل الحديث
علي الايمان بها وتفويض معناها المراد منها الي الله تعالي ولا نفسرها
مع تنزيهنا له عن حقيقتها فقد روى الامام اللالكاي الحافظ عن
محمد بن الحسن قال اتفق الفقها كلهم من المشرق الي المغرب علي الايمان
بالصفات من غير تفسير ولا تشبيه **وروى** اللالكاي ايضا في السنة
من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن امه عن ام سلمة رضي الله عنها
في قوله تعالي الرحمن علي العرش استوى قالت الاستوى معلوم والكيف

الاحتمالات العشرة هي انتفا النسخ
والتقديم والتاخير وتغيير الاعراب
والعرف والمعارض العقلي والاشتراك
والنقل والمجاز والاضمار والتخصيص
فان انتفت هذه الاحتمالات العشرة
عن الدليل افاد القطع وان انتفت
عنه الخمسة المتاخرة افاد الظن بهمس نفسه

مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة والبحث عنه كفر وهذا له
حكم الحديث المرفوع لان مثله لا يقال من قبيل الراي **وقال** الامام
الترمذي في الكلام علي حديث الروية المذهب في هذا عند اهل العلم من
الايمة مثل سفيان الثوري وابن المبارك ومالك وابن عيينة ووكيع و
وغيرهم انهم قالوا نروي هذه الاحاديث كما جاءت ونومن بها ولا يقال
كيف ولا نفسر ولا نتوهم **وذكر** في كتاب البرهان في تفسير
القران عند قوله تعالي هل ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام بعد
ان ذكرت مذاهب المتاولين ان مذهب السلف هو عدم الخوض في مثل
هذا والسكوت عنه وتفويض علمه الي الله تعالي قال ابن عباس هذا من
المكتوم الذي لا يفسر فالاولي في هذه الاية وما شاكلها ان يومن الانسان
بظاهرها ويكل علمها الي الله تعالي وعلي ذلك مضت ايمة السلف وكان
الزهري ومالك والاوزاعي وسفيان الثوري والليث بن سعد وابن المبارك
واحمد بن حنبل واسحق يقولون في هذه الاية وامثالها امروها كما جاءت
وقال سفيان [بن عيينة] وناهيك به كل ما وصف الله به نفسه في كتابه فتفسيره
قراءته والسكوت عنه ليس لاحد ان يفسره الا الله ورسوله **وسيل** الامام ابن
خزيمة عن الكلام في الاسما والصفات فقال بدعة ابتدعوها ولم يكن ايمة
المسلمين وارباب المذاهب ايمة الدين مثل مالك وسفيان والاوزاعي
والشافعي واحمد واسحق ويحيي بن يحيي وابن المبارك وابي حنيفة
ومحمد بن الحسن وابي يوسف يتكلمون في ذلك وينهون اصحابهم عن
الخوض فيه ويدلونهم علي الكتاب والسنة **وسمع** الامام احمد شخصا يروي
حديث النزول ويقول ينزل بغير حركة ولا انتقال ولا تغير حال فانكر احمد

ذلك

قف
وذكر
في البرهان

ذلك وقال كما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم فهو كان اغير علي ربه منك
وقال الاوزاعي لما سيل عن حديث النزول يفعل الله ما يشا وقال
الفضيل ابن عياض اذا قال لك الجهمي انا اكفر برب يزول عن مكانه فقل انا اومن
برب يفعل ما يشا **واعلم** ان المشهور عند اصحاب الامام احمد انهم لا يتاولون
الصفات التي من جنس الحركة كالمجي والاتيان في الظلل والنزول كما لا يتاولون
غيرها متابعة للسلف **وفي** كتاب الفقه الاكبر في العقايد تصنيف الامام
ابي حنيفة وهو سبحانه شي لا كالاشيا بلا جسم ولا جوهر ولا عرض ولا حد له ولا
ضد له ولا ند له ولا مثل وله يد ووجه ونفس فما ذكر الله تعالي في القران
من ذكر الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته
او نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول اهل القدر والاعتزال ولكن يده صفته
بلا كيف وغضبه ورضاه صفتان من صفاته بلا كيف والقضا والقدر والمشية
صفاته في الازل بلا كيف انتهي **قال** العلامة ابن الهمام ان الاصبع واليد
صفة له تعالي لا بمعني الجارحة بل علي وجه يليق به هو سبحانه اعلم وسياتي
تتمة كلامه **ومن العجب** ان ايمة الحنابلة يقولون بمذهب السلف ويصفون
الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير
تكييف ولا تمثيل ومع ذلك تجد من لا احتياط في دينه ينسبهم للتجسيم ويتوهم
ان المجسم كافر بخلاف مذهب الشافعية فان المجسم عندهم لا يكفر فقوم
يكفرون المجسمة فكيف يقولون بالتجسيم وانما نسبوا الي ذلك مع ان مذهبهم
هو مذهب السلف والمحققين من الخلف لما انهم بالغوا في الرد علي المتاولين
للاستوي واليد والوجه ونحو ذلك كما ياتي وهم وان اثبتوا ذلك متابعة
السلف لكنهم يقولون كما هو في كتب عقايدهم انه تعالي ذات لا تشبه

قف
إذا قال
لك الجهمي

وفي الفقه
الأكبر لأبي
حنيفة

الذوات مستحقة للصفات المناسبة لها في جميع ما يستحقه قالوا فاذا ورد
القران وصحيح السنة في حقه بوصف تلقي في التسمية بالقبول ووجب
اثباته له على ما يستحقه ولا يعدل به عن حقيقة الوصف اذ ذاته تعالى
بما وصف به نفسه قابلة للصفات اللايقة بها قالوا فنصف الله
تعالى بما وصف به نفسه ولا نزيد عليه فان ظاهر الامر في صفاته
سبحانه ان تكون ملحقة بذاته فاذا امتنعت ذاته المقدسة
من تحصيل معنى يشهد الشاهد فيه معنى يؤدي الى كيفية فكذلك
القول فيما اضافه الى نفسه من صفات هذا الكلام ايمة الحنابلة
ولا خصوصية لهم في ذلك بل هذا مذهب جميع السلف والمحققين
من الخلف **قال الحافظ السيوطي** في كتابه الاتقان
من المتشابه ايات الصفات ولابن اللبان فيها تصنيف مفرد
نحو الرحمن على العرش استوى كل شيء هالك الا وجهه ويبقى وجه ربك
ولتصنع على عيني يد الله فوق ايديهم لما خلقت بيدي والسموات
مطويات بيمينه وجمهور اهل السنة منهم السلف واهل الحديث
على الايمان بها وتفويض معناها المراد منها الى الله تعالى ولا نفسرها
مع تنزيهنا له عن حقيقتها **قال** وذهب طايفة من اهل السنة
الى انا نؤولها على ما يليق بجلاله تعالى وهذا مذهب الخلف قال وكان
امام الحرمين يذهب اليه ثم رجع عنه فقال في الرسالة النظامية الذي
نرتضيه رايا وندين الله تعالى به عقدا اتباع سلف الامة فانهم
درجوا على ترك التعرض لمعانيها ودرك ما فيها وهم صفوة الاسلام
وكانوا لا يالون جهدا في ضبط قواعد الملة والتواصي بحفظها وتعليم الناس

ما يحتاجون اليه منها فلو كان تاويل هذه الظواهر سايغا لاوشك ان يكون
اهتمامهم بها فوق اهتمامهم بفروع الشريعة واذا انصرم عصرهم وعصر
التابعين على الاضراب عن التاويل كان ذلك هو الوجه المتبع فحق على ذي
الدين ان يعتقد تنزيه الباري عن صفات المحدثين ولا يخوض في تاويل
المشكلات ونفوض معناها الى الرب **وقال** الامام ابن الصلاح
وعلى هذه الطريقة مضى صدر الامة وساداتها واياها اختار ايمة الفقها
وقاداتها واليها دعا ايمة الحديث واعلامه ولا احد من المتكلمين من
اصحابنا يصدف عنها ويأباها انتهى **قلت** وهذا القول هو
الحق واسلم الطرق فانك تجد كل فريق من المتاولين يخطي الاخر ويرد كلامه
ويقيم البرهان على صحة قوله ويعتقد انه هو المصيب وان غيره هو
المخطي ومن طالع كلام طوايف المتكلمين والمتصوفين علم ذلك علم اليقين
مفرد الناس شتى واراء مفرقة ۝ كل يرى الحق فيما قال واعتقدا ۝
قال اصحابنا اسلم الطرق التسليم فما سلم دينه من يسلم لله ولرسوله
ويرد علم ما اشتبه عليه الى عالمه ومن اراد علم ما يمتنع علمه ولم يقنع
بالتسليم فهمه حجبه مرامه عن خالص التوحيد وصافي المعرفة والايمان
والتعمق في الفكر ذريعة الخذلان وسلم الحرمان والاسراف في الجدال
يوجب عداوة الرجال اذا علمت هذا فهذا اوان الشروع في المراد
بعون الله تعالى **واعلم** ايدني الله واياك بروح منه ان من
المتشابه صفات الله تعالى فانه يتعذر الوقوف على تحقيق معانيها
والاحاطة بها بل على تحقيق الروح والعقل القايمين بالانسان واهل الاسلام
قد اتفقوا على اثبات ما اثبته الله لنفسه من اوصافه التي نطق بها القران

من نحو سميع وبصير وعليم وقدير ونا من ذلك كفر لانه مكذب لصريح القران
واختلفوا في المتشابهات فقالت المعتزلة ومن وافقهم انه تعالى عليم
بذاته بصير بذاته سميع بذاته لا بعلم وسمع وبصر وهكذا بقية الصفات
فاثبتوا المشتق بدون المشتق منه فرارا من تعدد القدما مع الله تعالى
محتجين بما يطول تقريره قايلين لا يخبر عنه تعالى بما يخبر به عن شي من
خلقه الا ان ياتي نص بشي من ذلك فيوقف عنده ومالا فلا ولان هذه
الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا بجوهر متحيز فجسم مركب او جوهر فرد ومن
قال ذلك فهو مشبه لان الاجسام متماثلة **قالوا** واما كونه لا يعقل عليم
الا بعلم وسميع الا بسمع وبصير الا ببصر كضارب لا يعقل الا بضرب وقايم
فهذا في الشاهد واما في الغايب فلا فقد صح النص بان له تعالى **عينا**
واعينا فيلزم ان تقولوا انه تعالى ذو حدقة وناظر لانه لا يوجد من الشاهد
الا مثل ذلك ولا يكون البتة سميع في العالم الا باذن ذات صماخ **وقالوا**
ايضا التعليل بالاشتقاق في مثل ذلك ليس بحجة فقد علمنا يقينا انه
تعالى بنى السما كما قال والسما بنيناها ولا يجوز ان يسمى سبحانه بنا ونحو
ذلك **واجيب** بانه قد صرحت النصوص من الكتاب والسنة باثبات
الصفات كقوله تعالى انزله بعلمه وقوله وما تحمل من انثى ولا تضع الا
بعلمه وقوله ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين فاثبت لنفسه القوة
وهي القدرة باتفاق المفسرين وفي الحديث اللهم اني استخيرك بعلمك
واستقدرك بقدرتك **وايضا** فيلزمهم ان تكون الذات علما
وقدرة وحياة لثبوت خصايص هذه الصفات لها فانه قد تحقق في
المعقول ان ما يعلم به المعلوم علم وايضا فهذه الصفات لا تقوم بنفسها

والذات

والذات قايمة بنفسها وهو جمع بين النقيضين **واجابوا** بان المراد انزله
وهو يعلمه او انزله باذنه وامره لان ما تعدى من الافعال بحرف البا فان الداخلة
عليه يكون آلة كضربت زيدا بالسوط واخذت المنديل بيدي وكون العلم
هو الذي نزل به لا يتصور اذ علمه تعالى لا ينفصل عن ذاته والمناقشة
في مثل ذلك هنا تطول وتخرج عن المقصود انما هو الاشارة الى ان كل
واحد يدعي ان الحق بيده ويقيم الدليل عليه كما تقدم فنسكت نحن عن الخوض
في ذلك ولا نبحث في تحقيقه فانه بدعة ونفوض علمه الى الله تعالى ولا
نكفر احدا من اهل الفرق بما ذهب اليه واعتقده خصوصا مع قيام
الشبهة والدليل عنده فان الايمان المعتبر في الشرع هو تصديق
القلب الجازم بما علم ضرورة مجي الرسول به من عند الله تفصيلا فيما علم
تفصيلا كالتوحيد والنبوة واجمالا فيما علم اجمالا كالانبيا السابقة
والصفات القديمة التي نطق بها القران وهذا هو الحق فلا نكفر بقية
الفرق خلافا لمن زعم من المتكلمين ان الايمان هو العلم بالله وصفاته
على سبيل الكمال والتمام فبهذا الاجزم اقدم كل طايفة على تكفير من عداها
من الطوايف لكن لا باس بالقول بتكفير بعض الغلاة من اهل البدع
فان من الجهمية من غلا حتى رمى بعض الانبيا بالتشبيه فقال ثلاثة
من الانبيا مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسى حيث
قال تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ومحمد حيث قال ينزل ربنا
كل ليلة الى سما الدنيا **ومن المتشابه** صفة الرحمة والغضب والرضا
والحيا والاستهزا والمكر والعجب في قوله تعالى الرحمن الرحيم غضب الله عليهم
رضي الله عنهم والله لا يستحيي من الحق الله يستهزئ بهم ومكروا ومكر الله

مذهب

بل عجبتُ بضم التا ويسخرون فمذهب السلف في هذا ونحوه انهم يقولون
صفات الله تعالى لا يُطلَعُ لها على ماهية وانما تمر كما جاءت قال شيخ الاسلام
ابن تيمية مذهب سلف الامة وائمتها ان يصفوا الله بما وصف الله
به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل ولا تكييف
ولا تمثيل ولا يجوز نفي صفات الله التي وصف بها نفسه ولا تمثيلها بصفات
المخلوقين ومذهب الخلف قالوا الرحمة لغة رقة القلب وانعطافه
وذلك من الكيفيات التابعة للمزاج والله منزه عنها فالمراد بها في حقه
تعالى ارادة الخير والاحسان الى من يرحمه فان اسما الله تعالى تؤخذ
باعتبار الغايات التي هي افعال دون المبادي التي هي انفعالات والغضب
هيجان النفس لارادة الانتقام او غليان دم القلب وعند اسناده
اليه تعالى يراد به غايته فان كان ارادة الانتقام من العاصي فانه
من صفات الذات وان كان احلال العقوبة كان من صفات الفعل
والحيا هو انقباض النفس عن القبيح مخافة الذم واشتقاقه من
الحياة فانه انكسار يعتري القوة الحيوانية فيردها عن افعالها واذا
وصف به الباري تعالى كما في قوله والله لا يستحيي من الحق وكما في حديث
ان ربكم حيي كريم يستحيي اذا رفع العبد يديه اليه ان يردهما صفرا حتى
يضع فيهما خيرًا فالمراد به الترك اللازم للانقباض العرضي كما ان المراد
من رحمته وغضبه الخير والانتقام والاستهزا من باب العبث
والسخرية والله تعالى منزه عن ذلك فمعنى يستهزئ بهم اي يجازيهم
على استهزايهم وهو من باب المشاكلة في اللفظ ليزدوج الكلام كجزا سيئة
سيئة مثلها نسوا الله فنسيهم او المعنى يعاملهم معاملة المستهزئ اما

في

9

في الدنيا فباجرا احكام المسلمين عليهم واستدراجهم بالامهال واما في الاخرة
فيروى انه يفتح لاحدهم باب الى الجنة فيسرع نحوه فاذا صار اليه سُدَّ
دونه ثم يفتح له باب اخر فاذا اقبل اليه سُدَّ دونه والمكر في الاصل
حيلة يتوصل بها الى مضرة الغير والله منزه عن ذلك فلا يمكن اسناده
اليه سبحانه الا بطريق المشاكلة والضحك هو رضاه تعالى بفعل عبده
ومحبته اياه واظهار نعمته عليه وقال بعضهم الضحك
استعارة في حق الرب سبحانه لانه لا يجوز عليه تغير الحالات والتعجب
انفعال يحدث في النفس عند الشعور بامر خفي سببه ويخرج به في
نظايره ولهذا يقال اذا ظهر السبب بطل العجب فلا يطلق على الله انه
متعجب لانه لا يخفى عليه شي ولهذا قال شريح لما قرى عنده بل عجبتُ بضم التا
ان الله لا يعجب من شي انما يعجب من لا يعلم قال الاعمش فذكرت ذلك
لابراهيم فقال ان شريحا كان يعجبه رايه ان عبد الله يعني ابن مسعود كان
اعلم من شريح وكان يقروها عبد الله بل عجبت يعني بضم التا وكذلك
قرا الكوفيون الا عاصما قالوا فالعجب من الله تعالى اما على الفرض والتخييل
او هو مصروف للمخاطب بمعنى انه يجب ان يتعجب منه او هو على معنى
الاستعظام اللازم له فانه روعة تعتري الانسان عند استعظامه
الشي وقيل انه مقدر بالقول اي قل يا محمد بل عجبت وحينئذ فمعنى
القراتين واحد وقال المهدوي يجوز ان يكون اخبار الله عن
نفسه بالعجب محمولا على انه ظهر من امره وسخطه على من كفر به ما يقوم
مقام العجب من المخلوقين كما يخبر عنه تعالى بالضحك عمن رضي عنه بمعنى انه
اظهر له من رضاه عنه ما يقوم مقام الضحك من المخلوقين مجازا واتساعا

وقد يكون العجب بمعني وقوع ذلك العمل عند الله عظيما فقوله بل عجبت
اي بل عظم فعلهم عندي قال البيهقي ويشبه ان يكون هذا معني
حديث عقبة بن عامر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول
عجب ربك من شاب ليست له صبوة **وقال** الحسن بن الفضل التعجب
من الله انكار الشي وتعظيمه وهو لغة العرب وقد جا في الخبر عجب ربكم
وقال الهروي ويقال معنى عجب ربكم اي رضي واثاب فسماه
عجبا وليس بعجب في الحقيقة كقوله ويمكرون ويمكر الله اي جازاهم على
مكرهم وسيل الجنيد عن قوله تعالى وان تعجب فعجب قولهم فقال ان
الله لا يعجب من شي **وقال** الامام فخر الدين جميع الاعراض النفسانية
اعني الرحمة والفرح والسرور والغضب والحيا والمكر والاستهزا ونحو
ذلك لها اوايل ولها غايات مثاله الغضب فان اوله غليان دم
القلب وغايته ارادة ايصال الضرر الى المغضوب عليه فلفظ الغضب
في حق الله لا يحمل على اوله الذي هو غليان دم القلب بل على غايته او
غرضه الذي هو ارادة الاضرار وكذلك الحيا له اول وهو انكسار يحصل
في النفس وله غرض وهو ترك الفعل فلفظ الحيا في حقه تعالى يحمل
على ترك الفعل لا على انكسار النفس انتهى **قلت** وعلى هذا الضابط
فكذلك يقال في الرضا والكرم والحلم والشكر والمحبة ونحو ذلك قال
الظاهر ان هذه كلها في حقنا كيفيات نفسانية قيل والحق ان
الكيفيات النفسانية لا تحتاج الى تعريف لكونها وجدانيات وفي
تفسير القرطبي في قوله تعالى وان تشكروا يرضه لكم ويرضى بمعنى
يثيب ويثني فالرضا على هذا اما ثوابه فيكون صفة فعل كقوله

لبني

تنق
على قول الرازي
رحمه الله تعالى

لبن شكرتم لازيدنكم واما ثناوه فهو صفة ذات انتهى **قلت** ومن هذا
يعلم جواب سوال كنت اوردته في مولف لطيف سميته الاسيلة عن
مسايل مشكلة قلت فيه **ومنها** ان اهل السنة جعلوا الصفات
القديمة لله سبحانه ثمانية وهي العلم **و**القدرة **و**الارادة **و**الحياة
والسمع **و**البصر **و**الكلام **و**البقا **و**بعضهم يقول والتكوين محتجين
في ذلك بالاستقاق وانه لا يعقل مفهوم عليم الا بعلم وسميع الا بسمع
وهكذا وحينيذ فيقال لنا وجه الاقتصار على هذه الصفات الثمانية
مع انه تعالى عزيز فمن اوصافه العزة وعظيم فمن اوصافه العظمة
وحليم فمن اوصافه الحلم فهل يصح ان يقال مثلا حليم بحلم كما يقال
عليم بعلم وهكذا في البقية ولعل الجواب على طريقة الخلف ان هذه
الاوصاف كلها كيفيات وانفعالات تحدث في النفس والله منزه عنها
فتوخذ كلها باعتبار الغايات بخلاف العلم والقدرة والسمع والبصر
ونحوها فانها من الاوصاف الذاتية لا من الكيفيات النفسانية **والسلف**
ان يقولوا ان هذه الاوصاف على ظاهرها وهذا التعليل لا يستلزم
ان يكون كذلك في حقه تعالى كما ان العلم والقدرة والسمع والبصر
تستلزم من النقص في حقنا ما يجب تنزيه الله تعالى عنه من جهة انها
اعراض ونحوه فمذهب السلف اسلم لا سيما وقد نقل البخاري وغيره عن
الفضيل بن عياض قدس الله روحه انه قال ليس لك ان تتوهم في الله
كيف هو لان الله عز وجل وصف نفسه فابلغ فقال قل هو الله احد
السورة فلا صفة ابلغ مما وصف به نفسه فهذا النزول والضحك
وهذه المباهات وهذا الاطلاع كما شا الله ان ينزل وكما شا ان يباهي وكما

شا ان يضحك وكما شا ان يطلع فليس لنا ان نتوهم كيف وكيف فاذا قال
للجهمي انا اكفر برب يزول لمكانه فقل انا اومن برب يفعل ما يشا انتهى
وقال بعض من انتصر لمذهب السلف ردًا على الخلف جميع ما يلزمون
به في الاستوا والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من
التشبيه فلزمهم به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لا يجعلونها
اعراضا كذلك نحن لا نجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق ويأتي
كلامه كله ومن المتشابه المحبة في وصفه تعالى بها في قوله يحبهم
ويحبونه وقوله والقيت عليك محبة مني لان المحبة ميل القلب الى
ما يلايم الطبع والله منزه عن ذلك وحينئذ فمحبة الله تعالى للعبد
هي ارادة اللطف به والاحسان اليه ومحبة العبد لله هي محبة طاعته
في اوامره ونواهيه والاعتنا بتحصيل مراضيه فمعنى يحب الله اي
يحب طاعته وخدمته او يحب ثوابه واحسانه وهذا امر ذهب جمهور
المتكلمين والفقها الى ان الله تعالى لا يُحَب وانما محبته محبة طاعته
وعبادته وقالوا هو ايضا لا يحب عباده المومنين وانما محبته
ارادته الاحسان اليهم قال والذي دل عليه الكتاب والسنة واتفق
عليه سلف الامة وايمتها وجميع مشايخ الطريق ان الله تعالى يُحِب
ويُحَب لذاته واما حب ثوابه فدرجة نازلة قال واول من انكر المحبة
في الاسلام الجعد بن درهم استاذ الجهم بن صفوان فضحى به خالد بن
عبد الله القسري وقال ايها الناس ضحوا يقبل الله ضحاياكم فاني
مضحي بالجعد بن درهم انه زعم ان الله لم يتخذ ابراهيم خليلا ولم يكلم
موسى تكليما ثم نزل فذبحه برضا علما الاسلام قال وهولا الذين ينكرون

حقيقة محبة

وقف [illegible] على من انتصر لمذهب السلف

وقف على اول من انكر المحبة

11

حقيقة محبة الرب يتكرون التلذذ بالنظر اليه ولهذا ظن كثير من المتفقهة
والمتصوفة والمتكلمة ان الجنة ليست الا التنعم بالمخلوق من اكل
وشرب ولباس ونكاح وسماع اصوات طيبة وشم روايح طيبة
لا نعيم غير ذلك ثم من هولا من انكر ان يكون المومنون يرون ربهم
كالجهمية والمعتزلة ومنهم من اقر الروية اما بالتي اخبر النبي
صلى الله عليه وسلم بها كاهل السنة والجماعة واما بروية هي زيادة
كشفا وعلم او بحاسة سادسة ونحو ذلك من الاقوال والمقصود
هنا ان طوايف ممن اثبت الروية انكروا ان يكون المومنون يتنعمون
بنفس رويتهم ربهم قالوا لانه لا مناسبة بين المحدث والقديم كما ذكر
ذلك الاستاذ ابو المعالي والامام بن عقيل حتى نقل عنه انه سمع قايلا
يقول اسالك لذة النظر الى وجهك فقال يا هذا هب ان له وجها
اله وجه يتلذذ بالنظر اليه وذكر ابو المعالي ان الله يخلق لهم نعيما
ببعض المخلوقات مقارنا للروية فاما التنعم بنفس الروية فانكره
وجعل هذا من اسرار التوحيد قال الطوفي واكثر مثبتي
الروية يقرون بتنعم المومنين بروية ربهم وكلما كان الشي احب كانت
اللذة بنيله اعظم قال وهذا متفق عليه بين السلف والايمة ومشايخ
الطريق ويدل لذلك حديث النساي وغيره عن النبي صلى الله
عليه وسلم وفيه واسالك لذة النظر الى وجهك واسالك الشوق
الى لقايك في غير ضرا مضرة ولا فتنة مضلة وفي صحيح مسلم وغيره
عن النبي صلى الله عليه وسلم قال اذا دخل اهل الجنة الجنة نادى مناد يا
يا اهل الجنة ان لكم عند الله موعدا يريد ان ينجزكموه فيقولون ما هو

المريبيض وجوهنا ويثقل موازيننا ويدخلنا الجنة ويجيرنا من
النار قال فيكشف الحجاب فينظرون اليه فما اعطاهم شيا احب
من النظر اليه **وقال** ابن تيمية ان المومنين ينظرون الى
وجه خالقهم في الجنة ويتلذذون بذلك لذة تتغمر في جانبها جميع
اللذات **واما** العشق فالله سبحانه لا يعشق ولا يعشق قال
الشيخ عز الدين بن عبد السلام لان العشق فساد يخيل ان اوصاف
المعشوق فوق ما هي عليه ولا يتصور ذلك هنا **ومن المتشابه**
العندية في قوله تعالى بل احيا عند ربهم يرزقون هو مزيد التقرب
والزلفى والتكرمة فهي عندية كرامة لا عندية قرب ومسافة كما يقال
فلان عند الامير في غاية الكرامة **وقوله** ان الذين عند ربك يعني
الملايكة بالاجماع قال القرطبي وقال عند ربك والله سبحانه بكل مكان
لانهم قريبون من رحمته وكل قريب من رحمته فهو عنده هذا عن الزجاج
وقال غيره لانهم في موضع لا ينفذ فيه الا حكم الله وقيل لانهم رسل الله
وجنده كما يقال عند الخليفة جيش كثير وقيل هذا على جهة التشريف
لهم وانهم بالمكان المكرم فهو عبارة عن قربهم في الكرامة وفي تفسير
البيضاوي في قوله تعالى وله من في السموات والارض ومن عنده
يعني الملايكة المنزلين منه لكرامتهم عليه منزلة المقربين عند الملوك
وهو معطوف على من في السموات وافراده للتعظيم او المراد به نوع
من الملايكة متعال عن السما والارض **وقال** ابو اللبان وقد
جا الكتاب العزيز بالتنبيه على ان حضرة عنديته وزادوا ابو السموات
والارض لان العطف يقتضي المغايرة فدل على ان حضرة عنديته

وزادوا

وزادوا ابو السموات والارض محيطة بها كاحاطة ربنا بذلك كله مباينة
لها المباينة لا اله الا هو **ومن المتشابه الجهة والمعية**
في قوله تعالى وهو القاهر فوق عباده ءامنتم من في السما تعرج الملايكة
والروح اليه وقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله الا هو معهم وغير ذلك
من الايات والاحاديث **واعلم** ان اهل التاويل افترقوا هنا
ثلاثة فرق **فقال** قوم بالجهة وانه تعالى فوق العرش على الوجه
الذي يستحقه **وقال** قوم بالمعية الذاتية وانه تعالى مع كل احد بذاته
وقال قوم انه تعالى لا داخل العالم ولا خارج العالم وقد بالغ كل
فريق في تضليل الفريق الاخر وفي الرد عليه وفي زعمه انه هو الذي على
الحق وانه خصمه لا على شي او انه هو العارف بالحق دون خصمه **ولقد**
تدبرت بعين البصيرة فرايت كل فريق منهم لا يعرف مذهب الفريق
الاخر على سبيل التفصيل بل من حيث الاجمال وهذا هو الموجب للتضليل
ومع ذلك فرايت اهل هذه الفرق الذين ارتكبوا غير طريقة السلف
انما هم كما قيل ٥ وكل يدعون وصال ليلى ٥ وليلى لا تقر لهم بذلك ٥
وها انا اذكر لك شبهة كل فريق منهم على سبيل التلخيص ولا ارضى بواحدة
منها بل بطريقة السلف **فلحجة** القايل بالجهة بقوله تعالى وهو القاهر
فوق عباده تعرج الملايكة والروح اليه اليه يصعد الكلم الطيب يخافون
ربهم من فوقهم ءامنتم من في السما ان يخسف بكم الارض وفي هنا بمعنى على
كما في قوله تعالى يتيهون في الارض وقوله ولاصلبنكم في جذوع النخل
والمراد بالسما هنا ما فوق العرش لان ما علا يقال له سما وبقوله الرحمن
على العرش استوى وبقوله لعلي اطلع الى اله موسى قالوا فهذا يدل

فقوله افترقوا هنا ثلاث فرق

قوله القايل بالجهة

علي ان موسي اخبره بان ربه فوق السما ولهذا قال واني لاظنه من الكاذبين
ولو كان موسي اخبره انه في كل جهة او في كل مكان بذاته لطلبه في نفسه
او في بيته ولم يجد نفسه في بنيان الصرح وبقوله عليه السلام ان
الله فوق عرشه وعرشه فوق سمواته وسمواته فوق ارضه مثل القبة
واشار عليه السلام بيده مثل القبة وفي حديث اخر والعرش فوق
ذلك كله والله تعالي فوق عرشه وباحاديث المعراج وباحاديث
كثيرة عن الصحابة كقول ابي بكر الصديق لما قبض رسول الله صلي
الله عليه وسلم من كان يعبد محمدا فان محمدا قد مات ومن كان
يعبد الله فان الله حي لا يموت رواه البخاري وكقول عبد الله بن
رواحة رضي الله عنه في شعره المشهور بحضرته عليه السلام ٥

٥ وان العرش فوق الماء طاف ٥ وفوق العرش رب العالمينا ٥

ونجد لنا هذه النصوص الواردة عن الله ورسوله في ذلك نصوص
تشير الي حقايق هذه المعاني ونجد الرسول تارة قد صرح بها مخبرا بها
عن ربه واصفا له بها ومن المعلوم انه عليه الصلاة والسلام كان
يحضر في مجلسه الشريف العالم والجاهل والذكي والبليد والاعرابي
الجافي ثم لا يجد شيئا يعقب تلك النصوص بما يصرفها عن حقايقها
لا نصا ولا ظاهرا كما تاولها بعض هولا المتكلمين ولم ينقل عنه عليه
السلام انه كان يحذر الناس من الايمان بما يظهر من كلامه في صفته
لربه من الفوقية واليدين ونحو ذلك ولا نقل عنه ان لهذه الصفات
معاني اخر باطنة غير ما يظهر من مدلولها ولما قال للجارية اين الله
فقالت في السما لم ينكر عليها بحضرة اصحابه كيلا يتوهموا ان الامر
علي

في السماء

علي خلاف ما هو عليه بل اقرها وقال اعتقها فانها مومنة الي غير ذلك
من الدلايل التي يطول ذكرها ولم يقل الرسول ولا احد من السلف
الامة يوما من الدهر هذه الايات والاحاديث لا تعتقدوا ما دلت
عليه وكيف يجوز علي الله ورسوله والسلف انهم يتكلمون دايما بما
هو نص او ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده لا يتكلمون
به ولا يدلون عليه **واحتجوا** ايضا علي انه في جهة العلو بانه هو
الذي طبع الله عليه اهل الفطرة العقلية السليمة من الاولين
والاخرين الذين يقولون انه فوق العالم اذ العلم بذلك فطري
عقلي ضروري لا يتوقف علي سمع قالوا ولم يقل قايل يا الله الا وجد
من قلبه ضرورة بطلب العلو بحيث لا يمكن دفع هذه الضرورة عن
القلوب ولا يلتفت الداعي يمنة ولا يسرة واما العلم بانه ٥
سبحانه استوي علي العرش بعد ان خلق السموات والارض في ستة ايام
فهذا سمعي علم من جهة اخبار الانبيا عليهم السلام حتي قال الشيخ عبد
القادر الجيلي قدس الله سره في كتابه الغنية وهو تعالي بجهة
العلو مستو علي العرش محتو علي الملك محيط علمه بالاشيا اليه
يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه يدبر الامر من السما الي
الارض ثم يعرج اليه الاية ولا يجوز وصفه بانه في مكان بل يقال انه
علي العرش كما قال الرحمن علي العرش استوي من غير تاويل وكونه علي
العرش في كل كتاب انزل علي كل نبي ارسل بلا كيف انتهي من التعسف
قول بعضهم ان قول الشيخ وهو بجهة العلو مستو علي العرش هو مبتدا
ومستو خبره وبجهة العلو متعلق بمستو بعد تعلقه علي العرش فلولا

علي ما قال الشيخ عبد القادر

ذلك النصب مستو على الحال فهذا تعسف وتحريف للكلم عن مواضعه
فان هو مبتدا وبجهة العلو خبره ومستو خبر بعد خبر ويجعل مستو
هو الخبر والعرش هو الذي بجهة العلو اي فايدة في ذلك ومن المعلوم
لكل احد ان العرش في جهة العلو **واحتجوا** ايضا بان الله تعالى كان ولا
مكان ولا زمان ولا خلا ولا ملا منفردا في قدمه لا يوصف بانه فوق
كذا اذ لا شي غيره فلما اقتضت الارادة حدوث الكون اقتضت ان
يكون له جهة علو وسفل واقتضت الحكمة الالهية ان يكون الكون في
جهة التحت والسفل لكونه مربوبا مخلوقا وان يكون هو فوق الكون
باعتبار الكون لا باعتبار فردانيته تعالى اذ لا فوق فيها ولا تحت فاذا
اشير اليه سبحانه يستحيل ان يشار اليه من جهة التحت وكونها بل
من جهة العلو والفوقية قالوا ثم الاشارة هي بحسب الكون وحدوثه
وتسفله فالاشارة تقع على اعلى جزء من الكون حقيقة وتقع
على عظمة الباري كما يليق به لا كما تقع على الحقيقة المعقولة عندنا
فانها اشارة الجسم وهذه اشارة الى ثبات **واحتجوا** ايضا بالاستوا
على العرش والاستوى صفة كانت له سبحانه لكن لم يظهر حكمها الا بعد
خلق العرش كما ان الحساب صفة قديمة له لا يظهر حكمها الا في الاخرة فالاشارة
تقع على العرش حقيقة اشارة معقولة وتنتهي الجهات عند العرش
ويبقى ما وراه لا يدركه العقل ولا يكيفه الوهم فتقع الاشارة عليه
كما يليق به سبحانه مثبتا مجملا لا مكيفا ولا ممثلا ولا محصورا سبحانه وتعالى
وعلى هذه الكيفية وقعت الاشارة عليه سبحانه في الحديث الصحيح
المشهور الذي رواه الايمة في كتبهم باسانيدهم وتلقته الامة بالقبول

ان

قف على ان الحسا[ب]

ان معاوية بن الحكم جا بجارية حبشية وقال يا رسول الله اني نذرت
ان اعتق رقبة مسلمة او قال مومنة فما تقول في هذه الجارية فقال
لها النبي صلى الله عليه وسلم اين الله فقالت في السما وفي رواية اخرى فاشارت
براسها الى السما فقال لها من انا فقالت انت رسول الله فقال
اعتقها فانها مومنة **وكذلك** الحديث المشهور الذي رواه احمد
وغيره عن ابي رزين العقيلي رضي الله عنه انه قال يا رسول الله اين
كان ربنا قبل ان يخلق العرش قال كان في عماء فوقه هواء وتحته هواء والعماء
بالمد هو السحاب كما ذكره اهل اللغة وهذا الحديث من المشكلات
حيث قال عليه السلام كان في عماء وهو سبحانه منزه عن الظرفية ولم ار من
كشف عن حقيقته بما يرفع اشكاله الا ان يقال ان في بمعنى على كما قالوا
في قوله اامنتم من في السما **واختلفوا** ايضا بما نقل عن السلف من التلويح
او التصريح بالقول بجهة العلو حتى قال الامام القرطبي في تفسيره
في سورة الاعراف وقد كان السلف الاول رضي الله عنهم لا يقولون
بنفي الجهة ولا ينطقون بذلك بل نطقوا هم والكافة باثباتها لله
تعالى كما نطق كتابه واخبرت رسله قال ولم ينكر احد من السلف
الصالح انه تعالى استوى على العرش حقيقة انتهى **وقال** ابن تيمية
قال ابو نعيم الاصبهاني صاحب الحلية في عقيدة له طريقتنا طريقة
المتبعين للكتاب والسنة واجماع الامة قال فمما اعتقدوه ان
الاحاديث التي ثبتت في العرش واستوا الله يقولون بها ويثبتونها
من غير تكييف ولا تمثيل ولا تشبيه وان الله باين من خلقه والخلق
باينون منه وهو مستوي على عرشه في سمايه دون ارضه **وقال**

قف على حديث عن ابي رزين

الحافظ ابو نعيم في كتابه محجة الواثقين واجمعوا ان الله فوق سمواته عال
على عرشه مستو عليه لا مستول عليه كما تقول الجهمية وساق الايات المصرحة
بالجهة **وقال** ابن رشد المالكي في كتابه المسمى بالكشف واما هذه
الصفة يعني القول بالجهة فلم تزل اهل الشريعة يثبتونها حتى نفتها المعتزلة
ومتاخروا الاشاعرة كابي المعالي ومن اقتدى بقولهم الى ان قال فقد ظهر
ان اثبات الجهة واجب شرعا وعقلا الى اخر كلامه **وروى** الدارمي
باسناده عن ابن المبارك قيل له كيف نعرف ربنا قال بانه فوق السماء
السابعة على العرش باين من خلقه **وقال** الشيخ ابو الحسن الاشعري ان
الله مستو على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وقال اليه يصعد الكلم
الطيب وقال لعلي اطلع الى اله موسى واني لاظنه كاذبا كذب موسى في قوله
ان الله فوق السموات وقال ءامنتم من في السما لانه مستقر على العرش
الذي هو فوق السموات وكل ما علا فهو سما فالعرش اعلا السموات
قال ورايت المسلمين جميعا يرفعون ايديهم نحو السما اذا دعوا لان الله
على العرش ولولا ان الله على العرش لم يرفعوا ايديهم نحو العرش كما لا
يخفضونها اذا دعوا الى الارض واطال الكلام على ذلك في كتاب الابانة
فراجعه **وقال** القاضي ابو بكر ابن الباقلاني وهو افضل المتكلمين
الاشعرية فان قال قايل فهل تقولون انه تعالى في كل مكان قيل له
معاذ الله بل هو مستو على عرشه كما اخبر وقال اليه يصعد الكلم الطيب
وساق الايات المتقدمة ثم قال ولو كان في كل مكان لكان في بطن الانسان
والحشوش ويصح ان يرغب اليه نحو الارض والى خلفنا ويميننا وشمالنا
وهذا قد اجمع المسلمون على خلافه وتخطية قايله انتهى **واختار**

قف على قول المبارك

وقال الشيخ ابو الحسن الاشعري

هذا

هذا المذهب شيخ الاسلام ابن تيمية وقال ولكن كثير من الناس قد
صار منتسبا الى بعض طوايف المتكلمين متوهما انهم حققوا في هذا
الباب ما لم يحققه غيرهم فلو اتي باية ما تبعها حتى يوتي بشي من كلامهم ثم
هم مع ذلك هذا مخالفون لاسلافهم غير متبعين لهم قال ومن كان
لا يقبل الحق الا من طايفة معينة ولا يتبع ما جاه من الحق ففيه شبه من
اليهود الذين قال الله فيهم واذا قيل لهم امنوا بما انزل الله قالوا نومن
بما انزل علينا ويكفرون بما وراه وهو الحق مصدقا لما معهم قال الله لهم
قل فلم تقتلون انبيا الله من قبل ان كنتم مومنين بما انزل عليكم
فكذلك حال من يتعصب لطايفة بلا برهان من الله انتهى **واعلم**
ان كثيرا من الناس يظنون ان القايل بالجهة هو من المجسمة لان من
الجهة التجسيم وهذا ظن فاسد فانهم لا يقولون بذلك لان لازم
المذهب ليس بلازم عند المحققين فكيف يجوز ان ينسب للانسان
شي من لازم كلامه وهو يتبرا منه بل قالوا اخذ اشد الناس هربا من ذلك
وتنزيها للباري تعالى عن الحد الذي يحصره فلا يحد بحد يحده بل
بحد يتميز به عظمة ذاته من مخلوقاته **هذا** السمع والبصر والقدرة
والعلم من لازم وجودها ان تكون اعراضا ولذلك نفاها المعتزلة
ولكن هذا اللازم ليس بلازم كما هو مقرر معلوم فتامل ولا تخض مع
الخايضين **ومنهم** من يتوهم انه يلزم على ذلك قدم الجهة ولا قديم
الا الله ويلزم انه يكون مظروفا في الجهة وهو محال وهذا كله بعدم
فهم مذهب القايل بالجهة فان القايل بالجهة يقول ان الجهات تنقطع
بانقطاع العالم وتنتهي بانتهائها اخر جزء من الكون والاشارة الى فوق

نتج على اعلا جزء من الكون حقيقة كما مر قالوا ومما يحقق هذا ان الكون الكلي لا في جهة لان الجهة عبارة عن المكان والكون الكلي لا في مكان فلما عدمت الاماكن من جوانبه لم يبق له يمين ولا يسار ولا قدام ولا ورا ولا فوق ولا تحت وقالوا ان ما عدا الكون الكلي وما خلا الذات القديمة ليس بشي ولا يشار اليه ولا يعرف بخلا ولا ملا وانفرد الكون الكلي بوصف التحت لان الله تعالى وصف نفسه بالعلو وتمدح به وقالوا الله سبحانه اوجد الاكوان في محل وحيز وهو سبحانه في قدمه منزه عن المحل والحيز فيستحيل شرعًا وعقلًا عند حدوث العالم ان يحل فيه او يختلط به لان القديم لا يحل في الحادث وليس هو محلا للحوادث فلزم ان يكون باينا عنه واذا كان باينا عنه فيستحيل ان يكون العالم في جهة الفوق والرب في جهة التحت بل هو فوقه بالفوقية اللايقة به التي لا تكييف ولا تمثيل بل نعلم من حيث الجملة والثبوت لا من حيث التمثيل والتكييف فنوصف الرب بالفوقية كما يليق بجلاله وعظمته ولا نفهم منها ما نفهم من صفات المخلوقين وقالوا ان الدليل القاطع دل على وجود الباري وثبوت ذاته كحقيقة الاثبات وانه لا يصح ان يماس المخلوقين او تماسه المخلوقات حتى ان الخصم يسلم انه تعالى لا يماس الخلق قالوا ومن عني هذا المعنى الفاسد فهو مبتدع ضال تجب استتابته فاذا اقامت عليه الحجة البالغة فلم يرجع ضربت عنقه بل ولا يماسونه وانه يتميز بانه منفرد مباين لخلقه منزه عن المماسة والامتزاج قال ابن تيمية ومن توهم ان كون الله في السما بمعنى ان السما تحيط به وتحويه او انه محتاج الى مخلوقاته وانه محصور فيها فهو

مطلب

مبطل

مبطل كاذب ان نقله عن غيره وضال ان اعتقده في ربه فانه لم يقل به احد من المسلمين بل لو سئل العوام هل تفهمون من قول الله ورسوله ان الله في السما وكونه على العرش واحدًا بمعنى انه تعالى في العلو لا في السفل ولا يتوهم ان خلقا يحصره ويحويه تعالى عن ذلك قالوا والقول الحق ان الباري تعالى يحيط بذاته علما وانه لا يجهل نفسه بل يعلمها علما حقا يثبت انفصالها ويميزها عما سواها وانما قايمة بذاتها مستغنية بقدرتها عما تقوم به ويقلها ويحملها وما يحيط به علمه تعالى من غايات ذاته فانه محدود بعلمه معلوم عنده نفسه لا اله الا هو ولا تحيط به العقول ولا تدركه الاوهام استوى على العرش كما ذكر لا كما يخطر للبشر قالوا فاذا تيقن العبد ان الله فوق عرشه كما وردت به النصوص بلا حصر ولا كيفية وانه الان في صفاته كما كان في قدمه صار لقلبه قبلة في صلاته وتوجهه ودعايه ومن لا يعرف ربه فوق سمواته على عرشه فانه يبقى حايرا لا يعرف وجهة معبوده لكن ربما عرفه بسمعه وبصره وقدمه ونحو ذلك لكنها معرفة ناقصة بخلاف من عرف ان الهه الذي يعبده فوق الاشيا وانه مع علوه قريب من خلقه هو معهم بعلمه وسمعه وبصره واحاطته وقدرته هذا البدر وهو من اصغر مخلوقاته في السما وهو مع كل احد اينما كان فاذا كان هذا البدر فكيف بالرب سبحانه فمتى شعر قلب العبد بذلك في صلاته ودعايه وتوجهه اشرق قلبه واستنار وانشرح لذلك صدره وقوي ايمانه بخلاف من لا يعرف وجهة معبوده فانه لا يزال حايرا مظلم القلب والعياذ بالله تعالى قالوا وهذا امر مشاهد محسوس ولا ينبيك مثل خبير واحتج القايل

بالمعية وانه تعالى مع كل احد بذاته بقوله تعالى وهو معكم اينما كنتم وقوله
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله الا هو معهم وقوله ونحن اقرب اليه
من حبل الوريد وقوله ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون ولا تبصر الا الذوات فلو
اراد معية العلم كما يقول المخالف لقال ولكن لا تشعرون وقوله واذا سألك
عبادي عني فاني قريب وقوله عليه السلام كما في الصحيحين الله اقرب الى احدكم
من عنق راحلته **ثم** انقسم اهل هذا القول الى قسمين **قسم** يقولون
الله تعالى حال بذاته المقدسة في كل شيء قال ابن تيمية وهذا القول يحكيه
اهل السنة والسلف عن قدماء الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك **وقسم**
يقولون انه تعالى مع كل احد بذاته ومع كل شيء لكن معية تليق به وهذا
المذهب هو قول كثير من متأخري الصوفية **واحتجوا** بانه تعالى فوق
عرشه الى ما لا نهاية له وما دون العرش ومع كل شيء معية تليق به فكما انه ليس
كمثله شيء في ذاته صفاته فليس في معيته وقربه لمعية احد وقربه قالوا
فلسنا معطلين لان تعظيمنا ابلغ من تعظيمهم والتعطيل انما يكون مع من
خلا توحيده عن التعظيم ومن قال ان الله تعالى عند كل الجهات وان لم يكن
فيها ومع كل شيء وان لم يكن في شيء لا بالحلول ولا بالمجاورة ودليله ونحن اقرب اليه
منكم ولكن لا تبصرون فلا تعطيل معه ولا تجسيم ونقل هذا الذي قررته عن
الشيخ ابي السعود الخارجي المدفون بمصر وقال عن هذا فهذا مذهب
السلف الصالح من الصحابة والتابعين وتابعيهم وهو الحق الذي اختاره
الصوفية الكرام وقدماء الاسلام انتهى ورأيت بعض الاكابر من مشايخهم صرح في
تصنيف له انه لا تخلو ذرة من ذرات العالم من ذوات الباري تقدس
وتعالى **قلت** وهذا شيء ينفر منه الطبع والشرع ولكن لعل تقريبه

العقل

للعقل ان الباري سبحانه كان موجودا قبل وجود عالم الكون وهذا المقدار الذي
وجد العالم فيه كان غير خال من وجود ذات الباري فحدث العالم واستمرت الذات
المقدسة على حالها وهو الآن على ما عليه كان فهي مع العالم باسره بذاتها وهي
ايضا بعد وجود العالم كما كانت بلا حد ولا نهاية لكن هنا تتخبط العقول في
هذه المعية الذاتية وربما تحصل لكثير منها الزندقة ويتدرج منها الى القول
بالوحدة المطلقة كما سيأتي الكلام على ذلك **وقال** اهل التأويل
من اهل الحق والاصحاب المذاهب من الفقهاء والمفسرين ان الآيات المشعرة
بالمعية الذاتية مصروفة عن ظواهرها الى المعية بالعلم بل معية العلم هي الظاهر
منها في سياق الآيات الشريعة يدل على ذلك **وقال** الامام ابن عبد البر
اجمع علماء الصحابة والتابعين الذين حمل عنهم التأويل في الواقع تأويل قوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم هو على العرش وعلمه في كل مكان وما خالفهم
في ذلك من يحتج بقوله انتهى **فقوله** سبحانه ولقد خلقنا الانسان ونعلم
ما توسوس به نفسه ونحن اقرب اليه من حبل الوريد قال المفسرون جميعا هو
كناية عن العلم به وباحواله اي ونحن اقرب اعلم باحواله ممن كان اقرب اليه من
حبل الوريد فهو تجوز بقرب الذات لقرب العلم لانه موجبه بحيث لا يخفى عليه شيء
من خفياته فكان ذاته قريبة منه **قال** الامام ابو حيان كما نقلاه انه
تعالى بكل مكان اي بعلمه وهو تعالى منزه عن الامكنة انتهى **و**الذي يدل
على ان المراد بالقرب هو القرب بالعلم سياق الآية فانه سبحانه قال ولقد خلقنا
الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه ثم قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد
اي بالعلم المفهوم من نعلم وحبل الوريد مثل في فرط القرب كقول العرب
هو مني معقد القابلة ومعقد الازار والحبل العرق فشبه بواحد الحبال

قف على ولقد خلقنا الانسان

والوريدان عرقان مكتنفان لصفحتي العنق كذا قوله تعالى وهو معكم اينما
كنتم اي بعلمه لا بذاته بدليل سياق الاية ومن قوله تعالى ثم استوى على العرش
يعلم ما يلج في الارض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها وهو معكم
اي بعلمه المحيط من بعلم **وكذا** قوله ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم ولا
خمسة الا هو سادسهم ولا ادنى من ذلك ولا اكثر الا هو معهم اينما كانوا اي بعلمه فان
الاية مصدرة بالعلم وهي الم تر ان الله يعلم ما في السموات وما في الارض ما يكون
من نجوى ثلاثة الاية **والحاصل** ان الايات المشعرة بالمعية الذاتية
انما هي صريحة في المعية بالعلم وان المراد منها انما هو الاشارة الى احاطة علمه
بجميع المخلوقات **وكذا** قوله تعالى واذا سالك عبادي عني فاني قريب
منهم فهو تمثيل لكمال علمه بافعال العباد واقوالهم واطلاعه على احوالهم
بمنزلة من قرب مكانه منهم ويوضحه ما قيل لو اجتمع قوم بمحل وناظر ينظر اليهم
من العلو فقال لهم اني ازل معكم اراكم واعلم منا جاتكم لكان صادقا ولله
المثل الاعلى عز شبه الخلق فان ابوا الا ظاهر التلاوة وقالوا هذا منكم
دعوى خرجوا عن قولهم في ظاهر التلاوة لان من هو مع الاثنين او اكثر هو
معهم لا فيهم ولا قرب من الشي ليس هو في الشي **وقال** ابن تيمية
رحمه الله تعالى ان الكتاب والسنة يحصل منهما كمال الهدى والنور لمن تدبرهما
وقصد اتباع الحق واعرض عن تحريف الكلم مثلا ان يقول القايل ما في الكتاب
والسنة من ان الله فوق العرش يخالفه قوله وهو معكم اينما كنتم وقوله عليه
السلام اذا قام احدكم الى الصلاة فان الله قبل وجهه ونحو ذلك ولا يخالفه
وذلك ان الله معنا حقيقة وهو فوق العرش وهو ظاهر قوله تعالى ثم
استوى على العرش يعلم ما يلج في الارض الى ان قال وهو معكم اينما كنتم وقوله

على

عليه السلام والعرش فوق ذلك والله فوق العرش وهو يعلم ما انتم عليه وذلك
ان كلمة مع في اللغة التي خوطبنا بها اذا اطلقت فليس ظاهرها في اللغة
الا المقارنة المطلقة من غير وجوب مماسة فاذا اقيدت بمعنى من المعاني دلت
على المقارنة في ذلك المعنى فانه يقال ما زلنا نسير والقمر والنجم معنا وان
كان فوق راسك فالله مع خلقه حقيقة وهو فوق عرشه ثم هذه المعية
تختلف احكامها بحسب الموارد فلما قال يعلم ما يلج في الارض الى قوله وهو
معكم اينما كنتم دل ظاهر الخطاب على ان حكم هذه المعية ومقتضاها انه مطلع
عليكم عالم بكم وهذا معنى قول السلف انه معهم بعلمه ولما قال عليه السلام
لصاحبه لا تحزن ان الله معنا كان هذا ايضا حقا على ظاهره ودلت
الحال على النصر والتاييد مع المعية العلم ومثله قوله لموسى وهارون
انني معكما اسمع وارى واطال ابن تيمية الكلام في تقرير ذلك **واما**
قوله تعالى ونحن اقرب اليه من حبل الوريد منكم ولكن لا تبصرون فالمراد به
قرب اعوان ذلك الملك ملك الموت من المحتضر بدليل سياق الاية وهو
قوله تعالى فلولا اذا بلغت الحلقوم وانتم حينيذ تنظرون ونحن اي ملايكتنا
وعبر بهم عنه سبحانه لانهم رسله ومامورة او المراد ونحن اقرب اليه اي بالعلم
فان قيل لو كان المراد به العلم لما صح ان يقول ولكن لا تبصرون لان العلم
لا يبصر بل كان يقول ولكن لا تشعرون **فجوابه** ان تبصرون يطلق
على البصر بالعين ويطلق على الشعور والعلم بالقلب كما قاله اهل اللغة لانه
يقال بصرته بعيني وبصرته بقلبي فارتفع الاشكال **ومن العجيب**
اني اجتمعت باكابر محققي بعض الصوفية بمحفلة المذاكرة نطعن من
الفقها والمتكلمين والاشاعرة وقال انهم يحرفون معاني كلام الله تعالى ويخرجون

كلام الله عن مراد الله بحسب عقولهم فقلت له وكيف تعزى قوله تعالى
ما يكون من نجوى ثلاثة الا هو رابعهم الى قوله الا هو معهم تعالى هي معية ذاته
لا معية علم كما يقولون ويدل لذلك قوله تعالى ونحن اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون فلو كانت معية علم لما صح ان يقول ولكن لا تبصرون لان العلم
لا يبصر وانما يبصر الذات فتعجب من مقالته وتصميمه عليها وغفلته عن كلام
الايمة المحققين من الفقها والمفسرين فنسال الله تعالى العافية والسلامة
في الدين **قال** الشيخ الامام العيني الحنفي في اثنا ترجمته للشيخ
تقي الدين بن تيمية ومدحه اياه وتنزيهه عما لا يتسبب له بعض الجهال
وهذا الامام مع جلالة قدره في العلوم نقلت اليه عنه على لسان جم
غفير من الناس كرامات ظهرت منه بلا التباس واجوبة قاطعة عند
السوال من المعضلات من غير توقف بحالة من الحالات من جملة
ما سيل عنه وهو على كرسيه يعظ الناس والمجلس غاص باهله في رجل
يقول ليس الا الله ويقول الله في كل مكان هل هو كفر او ايمان **فاجاب**
على الفور من قال ان الله تعالى بذاته في كل مكان فهو مخالف للكتاب
والسنة واجماع المسلمين بل هو مخالف للملل الثلاث بل الخالق سبحانه
وتعالى باين من المخلوقات ليس في مخلوقاته بل هو الغني عنها والباين
بنفسه منها وقد اتفق الايمة من الصحابة والتابعين والايمة الاربعة
وسائر ايمة الدين ان قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم والله بما تعملون
بصير ليس معناه انه مختلط بالمخلوقات وحال فيها ولا انه بذاته
في كل مكان بل هو سبحانه وتعالى مع كل شي بعلمه وقدرته ونحو ذلك فالله سبحانه
مع العبد اينما كان يسمع كلامه ويرى افعاله ويعلم سره ونجواه رقيب عليهم

قال الشيخ العيني رحمه الله في مدح شيخ الاسلام ابن تيميه

مهيمن

19

مهيمن عليهم بل السموات والارض وما بينهما كل ذلك مخلوق لله
ليس الله بحال من شي منه سبحانه ليس كمثله شي وهو السميع
البصير لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله بل يوصف الله بما
وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تكييف ولا تمثيل
ومن غير تحريف ولا تعطيل ولا تمثيل صفاته بصفات خلقه ومذهب
السلف اثبات بلا تشبيه وتنزيه بصفات خلقه بلا
تعطيل فقد سيل الامام مالك رضي الله عنه عن قوله
الرحمن على العرش استوى فقال الاستوا معلوم والكيف مجهول
والايمان به واجب والسوال عنه بدعة انتهى ما حكاه الشيخ
العيني عن ابن تيمية رحمهما الله **ومن** هنا نعرف معنى
قوله عليه السلام الله اقرب الى احدكم من عنق راحلته ان
المراد به قرب علم **واما** حديث البخاري ومسلم ان كان
احدكم يصلي فلا يبصق قبل وجهه فان الله قبل وجهه
فقال ابن عبد البر هو كلام خرج على التعظيم لشان القبلة
وقال الخطابي معناه ان توجهه الى القبلة مفض بالقصد
الى ربه فصار من التقدير كان مقصوده بينه وبين قبلته
ولا حجة فيه للقايلين بانه تعالى في كل مكان لان في الحديث
انه يبزق تحت قدمه وهو على حذف مضاف اي فان قبلة
الله او رحمة الله قبل وجهه **وقال** بعضهم الحق حمله
على ظاهره فهو سبحانه فوق العرش وهو قبل وجه المصلي بل هو
المتصل الوصف يثبت للمخلوقات فان الانسان لو ناجى السما

قوله على ظاهره قول بعضهم

لكانت فوقه وكانت ايضا قبل وجهه وقد ضرب عليه السلام المثل
بذلك ولله المثل الاعلى والمقصود بالتمثيل انما هو جواز هذا وامكانه
لا تشبيه الخالق بالمخلوق فقد قال عليه السلام ما منكم من احد الا سيرى
ربه مخليا به فقال له ابو رزين العقيلي كيف يا رسول الله وهو
واحد ونحن جميع فقال له النبي صلى الله عليه وسلم سانبيك مثل
ذلك في آلاء الله هذا القمر كلكم يراه مخليا به وهو اية من ايات
الله فان الله تعالى اكبر او كما قال النبي صلى الله عليه وسلم
وايضا فالمومنون اذا راوه يوم القيامة وناجوه كل يراه
فوقه قبل وجهه كما يرى الشمس والقمر ولذلك قال عليه
السلام انكم سترون ربكم كما ترون الشمس والقمر فشبه الروية
بالروية وان لم يكن المرئي مشابها للمرئي انتهى والله اعلم
واحتج القايل بانه تعالى لا داخل العالم ولا خارجه وانه
سبحانه لا متصلا به ولا منفصلا عنه بانوار عقلية وهذا
هو مذهب كثير من متاخري الاشاعرة ومن وافقهم والعقل
في مثل هذا بمجرده لا اعتبار به ما لم يستند الى النقل الصحيح
واحتجوا من النقل بايات لا تنضح لهم وانما تنضح للقايلين
بانه مع كل احد بذاته فمن جملة ما احتجوا به قوله تعالى وهو
الذي في السموات وفي الارض وقوله تعالى وهو الذي في السماء
اله وفي الارض اله وقوله تعالى فاينما تولوا فثم وجه الله وقوله
ونحن اقرب اليه من حبل الوريد ونحن اقرب اليه منكم ولكن
لا تبصرون والقرب بالعلم لا بالابصار وانت قد عرفت مما مر

ان

واحتج

واحتجوا

فقف
واما قوله
تعالى

ان اهل السنة قاطبة جعلوا هذا القرب علم لا قرب ذات وسياتي
الكلام على قوله فثم وجه الله واما قوله في السما اله وفي الارض اله
فهو باتفاق المفسرين بمعنى مالوه اي معبود فانه معبود
فيهما وكذلك وهو الله في السموات وفي الارض فان الجار والمجرور
متعلق بالله لانه بمعنى مالوه او متعلق بما بعده ولولا ذلك
للزم عليه الظرفية تعالى الله عنها وعندي معنى اخر لم ار من
قاله وهو ان يكون على معنى هو المسمى فيهما بهذا الاسم فهو
كما انه هو الله في السموات هو الله في الارض كقولك موسى اخو
هارون في جميع الدنيا والكعبة هي البيت الحرام في السما والارض
وكقولهم فلان امير في خراسان وامير في بلخ وسمرقند وهو في
موضع واحد وهذا موجود في اللغة قال ابن تيمية ولم
يقل احد من السلف انه تعالى في كل مكان ولا انه داخل العالم ولا
خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه انتهى **واعلم**
انه قد ثبت بلا ريب خلافا للفلاسفة ان الذات المقدسة
كانت موجودة قبل حدوث العالم قايمة بنفسها فلما حدث العالم
فاما ان يكون حدث باينا منها منفصلا عنها وهذا مسلم عند
كل مسلم ولهذا حمل المفسرون الايات الدالة على المعية والقرب
على معية العلم وقربه واما ان يكون حدث مماسا لها قايما بها
الوجود باسره كما يقوله بعض المتصوفة او قريبا منها كما
يدل عليه كلام كثير من الصوفية وعلى هذين القولين يصح
حمل الايات على القرب بالذات والمعية بالذات والاشاعرة

واعلم

واتفقوا اهل السنة والمفسرين فحملوا الايات المشعرة بقرب او معية الذات
على ان المراد بها العلم وهذا صحيح على قولهم باعتبار انه الذات
تعالى لا داخل العالم ولا باعتبار انه لا خارج العالم فكان الاحتمال
صحة حملها ايضا على القرب بالذات ومعية الذات لكنهم لم
يقولوا بذلك ولم يرتكبوا في التفسير القول بذلك اصلا
فليتامل واعلم ايضا ان الذي ذهب اليه جمهور متاخري
المتكلمين هو تنزيه الله تعالى عن الجهة فليس هو مخصوصا بجهة
فوق عندهم ولا بجهة غيرها لانه يلزم من ذلك عندهم انه متى
اختص بجهة ان يكون في مكان او حيز وانه غير قديم وانه جسم
ومتوهمة اي من ليس في جهة لا يكون متحيزا وانه هو العدم
المستغني عن محل يقوم به واورد على هذا ان الكون الكلي والداير
المحيط بالعالم فانه لا في مكان وهو حادث وغير مستغن بنفسه
وذاته وان استغنى عن المكان لانه لو افتقر الى مكان لافتقر
المكان الثاني الى ثالث ويتسلسل الى ما لا نهاية له وهو
محال وايضا فيلزم القايل بنفي الجهة عنه سبحانه احد
امرين لا محيص عنهما اما ان يقولوا انه سبحانه بعد انتها العالم
محيط به من ساير جوانبه وجهاته وحينئذ فهو تعالى لا في
جهة بل في جميع الجهات لكن هذا لا يقال به ولا اعلم احدا
قال به واما ان يقولوا انه سبحانه داخل العالم او معه ساريا
في جميعه كما يقول به بعض المتصوفة حتى رايت اكابر
مشايخهم قد درج في تصنيف له انه لا تخلو ذرة من ذرات

العالم

العالم من ذات الباري سبحانه وهذا لا يقال به لانه اما
يوهم الحلول وهو لازمه وانه سبحانه مختلط بالمخلوقات
تعالى الله عن ذلك وهذا خلاف اجماع المسلمين وقد وقع
في هذا كثير من المتصوفة فجعلوا الوجود ذاتيا بالرب محدودا
بحدوده متكلما بحروفه ويجعلونه سبحانه هو المتكلم على
السنتهم كالجني على لسان المصروع واعلم ايضا انه
قد تخبطت في هذا المقام عقول كثير من ذوي الافهام
وتفرقوا في الاقوال وهم كقول من قال

الناس شتى وآرا متفرقة ∴ كل يرى الحق فيما قال واعتقد

ولقد صرح كثير من المتصوفة ان الباري سبحانه هو عين
ما ظهر وما بطن من الوجود وانه تعالى هو العالم باسره وقد
شافهني بعض مشايخهم المتعمقين بذلك فقلت له ومن اين
دليل هذا فقال من قوله سبحانه هو الاول والاخر والظاهر
والباطن اتقول انت لا تعجب من مقالته ومن تلبيس الشيطان
لعقول هولا الخرافات والمحالات فقرا من المجلس قاري فقرا هو
لله ما في السموات وما في الارض الاية فقلت له ايها الشيخ
هذه الاية ترد ما قلت حيث جعل لله ما فيهما فهو سبحانه
غيرهما لا عينهما فقال على الفور لله ما في السموات وما في الارض
بفتح لام لله فعجبت من هذه الفلسفة والزندقة والسفسطة
المحققة اعاذنا الله تعالى منها ومن الزيغ والضلال وقد
قال اهل الشريعة رضي الله عنهم كما قرره ايمتنا في عقايدهم

ان المراد بقوله سبحانه والظاهر والباطن اي الظاهر في المعرفة لان دلايل توحيده
وبراهين ألوهيته وربوبيته جلية للافهام وظاهرة عند ذوي المعارف
واضحة الدليل عن عارض الشبهات فهو بذلك الظاهر الذي لا اظهر منه والباطن
اي الباطن في الاستتار بذاته فلا علم يحيط به ولا معرفة تقف على كنه معرفته
ولا فكر يصل الى جميع ما يستحقه من صفات الكمالات ولا عقل يقف على حقيقة
الذات وتحقيق الصفات فهو سبحانه الظاهر والباطن بهذا الاعتبار لا انه
تعالى هو عين ما ظهر وما بطن كما يقوله الملاحدة ويقولون سبحان من هو الكل
ولا شي سواه الواحد في نفسه المنفرد بنفسه ويقولون ايضا

وما انت غير الكون بل انت عينه ✤ ويفهم هذا السر من هو ذا بق ✤

فتعاليت بالله عن ذلك ✤ وما انت عن الكون بل انت بحره ✤

وبعضهم من هذا القول من هو سالم ويرتكبون القول بالوحدة المطلقة ويصرحون
بذلك ويقرر مذهبهم على سبيل الاحاطة والتطويل بطول وحاصله انا الباري عندهم
هو مجموع ما ظهر وما بطن وانه لا شي خلاف ذلك هكذا موجود في كتبهم من شك في
ذلك فليراجعها وقد اشرت الى شي من ذلك في كتابي الادلة الوفيه بتصويب
قول الفقها والصوفية وفي كتاب سلوك الطريقة في الجمع بين كلام اهل الشريعة
والحقيقة **قال** شيخ الاسلام ابن تيمية في اثنا كلام طويل وهولا القوم الذين
تكلموا في هذا الامر لم يعرف لهم خبر ولا سابقة الا من حين ظهرت دولة التتار
قال واما الحلول وهو ان الله تعالى بذاته حال في كل شي فهذا حكيه اهل السنة
والسلف عن قدما الجهمية وكانوا يكفرونهم بذلك واطال الكلام على ذلك ابن تيمية
رحمه الله تعالى بفصحة **اعلم** وفقك الله انه ليس للمر واسلم في دينه من ترك
الخوض في مثل هذا والاعراض عن الخوض في علم الكلام المذموم واقتفا طريقة السلف

فلهم

فانهم لم يخوضوا في شي من هذا ولم يبحثوا عنه معتقدين ان الله تبارك وتعالى موجود ليس كمثله
شي وهو السميع البصير افلا يسعنا ما وسعهم من السكوت والتسليم ومن طلب
الوقوف على حقيقة الباري سبحانه فقد طلب المحال قال الطوفي وقد
اعترف ايمة اهل الكلام والفلسفة من الاولين والاخرين ان الطرايق التي سلكوها
في امور الربوبية بالاقيسة التي ضربوها لا تفضي بهم الى العلم واليقين في الامور
الالهية مثل تكلمهم بالجسم والعرض في دلايلهم ومسايلهم ومقالة اساطين
الفلسفة من الاوايل انهم قالوا العلم الالهي لا سبيل فيه الى اليقين وانما يتكلم
فيه بالاولى والاحرى قال ولهذا اتفق كل من خبر مقالة هولا المتفلسفة في
العلم الالهي ان غالبه ظنون كاذبة واقيسة فاسدة وان الذي فيه من العلم
والحق قليل انتهى هذا والفلاسفة هم ارباب النهاية في المعقول لكن
المعقول اذا لم تستند الى الشرع المنقول وقعت في الحيرة والضلالات
وطرات عليها الخيالات والاستبعادات لما جات به الرسل ولهذا كانت الفلاسفة
يعتقدون ان عندهم العلوم والمعارف ما يستغنون به عن علم الانبيا
عليهم السلام قال ابو حيان وكانوا اذا سمعوا بوحي الله تعالى دفعوه وصغروا
علم الانبيا بالنسبة الى علمهم قال ولما سمع بقراط الحكيم بموسى عليه السلام قيل
له لو هاجرت اليه فقال نحن قوم مهذبون فلا حاجة لنا الى من يهذبنا **قلت**
وهذه الخصلة بعينها موجودة في المتصوفة المتفلسفة فانهم يحتقرون
علم الفقها بالنسبة لعلمهم ويزعمون انهم محجوبون وانهم هم الواصلون نعم
ولكن الى سقر اتخذوا الكلام على الذات والصفات ديدنا لهم فاذا دخل
الى مجلسهم العامي وهو لا يحسن الوضو كلموه بدقايق الجنيد واشارات
الشبلي قال ابن الجوزي وترى الحايك والسوقي الذي لا يعرف

و على هذه الخصلة



فرايض الصلاة بزرق اثوابه دعوي لمحبة الله واصلحهم حالا يتخايل بوهمه
شخصا هو الخالق فيبكيه شوقه اليه لما يسمع من عظمته ورحمته وجماله
وليس ما يتخايلونه الاله المعبود فانه تعالي لا يقع في خيال وربما خايلت
له الماخوليا اشباحا يظنهم الملايكة وبالجملة فالحق هو اتباع ما كان عليه
السلف قولا وفعلا واعتقادا وما سواه فهو اتباع هوي **قال** شيخ الاسلام
ابن تيمية رحمه الله ما قاله الله سبحانه ورسوله صلي الله عليه وسلم والسابقون
الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان وما قاله ايمة الهدي
بعد هولاء الذين اجمع المسلمون علي هدايتهم ودرايتهم هو الواجب علي جميع الخلق
في هذا الباب وفي غيره واطال الكلام في ذلك وذم المتفلسفين والمتكلمين
وقال ثم هولاء المتكلمون المخالفون للسلف اذا حقق عليهم الامر لم يوجد عندهم
من حقيقة العلم بالله وخالص معرفته خبر ولا يقفوا من ذلك علي عين ولا اثر
الجنيد قدس الله سره قال اقل ما في الكلام سقوط هيبة الرب من القلب والقلب
اذا عري من الهيبة من الله عري من الايمان **وقال** بعد كلام طويل ثم القول
الشامل في جميع هذا الباب ان يوصف الله بما وصف به نفسه ووصفه به رسوله
وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القران والحديث ومذهب السلف
انهم يصفون الله بما وصف به نفسه وبما وصف به رسوله من غير تحريف
ولا تعطيل ومن غير تكييف ولا تمثيل قال وهذا قول الذين اتبعوا سنة
النبي صلي الله عليه وسلم ظاهرا وباطنا لكن لا بد للمنحرفين عن سنته ان
يعتقدوا فيهم نقصا يذمونهم به ويسمونهم باسما مكذوبة كقول القدري من
اعتقد ان الله اراد الكاينات وخلق افعال العباد فقد سلب العباد الاختيار
والقدرة وجعلهم مجبورين كالجمادات التي لا ارادة لها ولا قدرة وكقول الجهمي

من

من قال ان الله فوق العرش فقد زعم انه محصور وانه جسم مركب مشابه
لخلقه وكقول الجهمية والمعتزلة من قال ان لله علما وقدرة فقد زعم انه
جسم مركب وهو مشبه لان هذه الصفات اعراض والعرض لا يقوم الا
بجوهر متحيز وكل متحيز جسم مركب وجوهر فرد ومن قال ذلك فهو مشبه
لان الاجسام متماثلة قال ومن حكي عن الناس المقالات وسماهم بهذه
الاسما المكذوبة لحذا من لازم عقيدتهم فهو وربه اعلم والله من ورايه
بالمرصاد ولا يحيق المكر السيي الا باهله قال والله يعلم اني بعد هذا البحث التام
ومطالعة ما امكن من كلام السلف ما رايت كلام احد منهم يدل لا نصا ولا
ظاهرا علي نفي الصفات الخبرية في نفس الامر وما رايت احدا منهم نفاها
وانما ينفون التشبيه وينكرون علي المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه
وينكرون علي من ينفي الصفات كقول نعيم بن حماد شيخ البخاري من شبه
الله بخلقه فقد كفر ومن جحد ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف
الله به نفسه او رسوله تشبيها وكانوا اذا راوا الرجل قد اغرق في نفي التشبيه
من غير اثبات الصفات قالوا هذا جهمي معطل فان الجهمية والمعتزلة الي اليوم
يسمون من اثبت شيا من الصفات مشبها كذبا منهم وافترا فالروافض
تسمي اهل السنة نواصب والقدرية يسمونهم مجبرة والمرجية يسمونهم
شكاكا والجهمية يسمونهم مشبهة واهل الكلام يسمونهم حشوية والمتصوفة
يسمونهم محجوبين كما كانت قريش تسمي النبي صلي الله عليه وسلم تارة مجنونا
وتارة شاعرا وتارة كاهنا وتارة مفتريا وهذه علامة الارث الصحيح والمتابعة
التامة ثم قال ابن تيمية في اخر كلامه وجماع الامر ان الاقسام الممكنة في
ايات الصفات واحاديثها ستة اقسام وكل قسم عليه طايفة من اهل القبلة

مطلب الكرسي

وسياتي الكلام على ذكر هذه الاقسام اخر الكتاب ولنرجع الى ما نحن بصدده فنقول
ومن المتشابه الكرسي في قوله تعالى وسع كرسيه السموات والارض
وقد اختلف اهل التاويل فقيل الكرسي هو علمه تعالى اي احاط علمه سبحانه باهل
السما والارض وقيل هو السلطان والقدرة وقيل هو تمثيل لعظمة شانه
وسعة سلطانه واحاطة علمه بالاشيا قاطبة وليس ثمة كرسي ولا قاعد ولا
قعود وقيل هو مكان لعبادة الملايكة والاضافة كما في الكعبة بيت الله وقيل
هو العرش نفسه والمشهور انه جسم عظيم بين يدي العرش يسع السبع
سموات والارض كما دلت عليه الاحاديث والاثار روي عن ابن عباس وابن مسعود
وناس من الصحابة السموات والارض في جوف الكرسي والكرسي بين يدي العرش وهو
موضع قدميه قال البيهقي كذا في هذه الرواية موضع قدميه وقال سعيد
ابن جبير عن ابن عباس وسع كرسيه السموات والارض قال موضع القدمين
ولا يقدر قدر العرش قال القرطبي كذا قال موضع القدمين من غير اضافة واما
ابو موسى الاشعري الكرسي موضع القدمين قال فالسلف لم يفسروا امثال هذا
ولم يشتغلوا بتاويله مع اعتقادهم ان الله تعالى غير متبعض ولا ذي جاجة
وقال يحيى بن معين شهدت زكريا ابن عدي سال وكيعا فقال يا ابا
سفيان هذه الاحاديث يعني مثل الكرسي موضع القدمين ونحو هذا فقال وكيع
ادركنا اسماعيل ابن ابي خالد وسفيان ومسعر ايحدثون بهذه الاحاديث
ولا يفسرون شيا منها واما الخلف فاولوا قال ابن عطية يريد هو
من عرش الرحمن موضع القدمين في اسرة الملوك فهو مخلوق عظيم بين يدي
العرش نسبته الى العرش كنسبة الكرسي الى سرير الملك وقال ابو حيان
انه تعالى خاطب الخلق في تعريف ذاته بما اعتادوه من ملوكهم وعظمايهم واعلم

ان

ان هذه الاحاديث ونحوها تروى كما جات ويفوض معناها الى الله او تؤول بما
يليق بجلاله سبحانه ولا ترد بمجرد العناد والمكابرة كما ذكر القرطبي قال تكلمت
مع بعض اصحابنا القضاة من له علم وبصر بمذهب بني حصيب فيما ذكره
ابن عبد البر من قوله الرحمن على العرش استوى فذكرت له حديث عروج الملايكة
بالروح بعد قبضها من سما الى سما حتى تنتهي الى السما التي فيها الله فما كان الا
ان بادر الى عدم صحته ولعن رواته فقلت له الحديث صحيح والذين رووه
لنا هم الذين رووا لنا الصلوات الخمس واحكامها فان صدقوا هناك صدقوا
هنا وان كذبوا هناك كذبوا هنا ولا تخص الثقة باحد منهم فيما يرويه ومعنى
قوله الى السما التي فيها الله اي امره وحكمه وهي السما السابعة التي عندها سدرة
المنتهى اليها يصعد وينتهي ما يعرج به من الارض ومنها يهبط ما ينزل به منها
وكما اعترض بعضهم على الحنابلة في حديث رووه عن النبي صلى الله عليه وسلم
قال استوى على العرش فما يفضل منه الا مقدار اربع اصابع قال المعترضون
للحنابلة وهذا يوهم دخول كمية واجزا وهذا مستحيل في حق الرب الاعلى قول
المشبهة والمجسمة الذين يثبتون لله ذاتا لها كمية وضخامة وهذا مما اتفقنا
نحن وانتم على تكفير القايل به فقال الحنابلة اما هذا الحديث فنحن لم ننقله
من عند انفسنا فقد رواه عامة ايمة الحديث في كتبهم التي قصدوا فيها نقل
الاخبار الصحيحة وتكلموا على توثقة رجاله وتصحيح طرقه ورواه من
الايمة جماعة احدهم امامنا احمد وابو بكر الخلال وصاحبه ابن بطة والدارقطني
في كتاب الصفات الذي جمعه وضبط طرقه وحفظ عدالة رواته وهو
حديث ثابت لا سبيل الى دفعه ورده الا بطريق العناد والمكابرة والتاويل
ممكن فانه قد يطلق الفضل والمراد به الخروج عن حد الوصف والاختصاص

مطلب معنى الاستوى

فـ على قول ام سلمة رضي الله عنها

على قول مالك رحمه الله

على قول الشافعي رحمه الله

على احمد ابن حنبل رحمه الله

بوصف الاستوا الاهذا المقدار ولله تعالى ان يخص ما شا منه بوصف الاختصاص
دون ما شا والله اعلم ومن المتشابه الاستواء في قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى وقوله ثم استوى على العرش وهو مذكور في سبع ايات من القران فاما
السلف فانهم لم يتكلموا في ذلك بشي جريا على عادتهم في المتشابه من عدم الخوض
فيه مع تفويض علمه الى الله تعالى والايمان به وروى الامام اللالكاي الحافظ
في السنة من طريق قرة بن خالد عن الحسن عن امه عن ام سلمة رضي الله عنها
في قوله تعالى الرحمن على العرش استوى قالت الاستوى معلوم والكيف مجهول
والايمان به واجب والسوال عنه بدعة والبحث عنه كفر وهذا له حكم الحديث
المرفوع لان مثله لا يقال من قبيل الراي وفي لفظ اخر قالت الكيف غير
معقول والاستوا غير مجهول والاقرار به من الايمان والجحود به كفر وروى
ايضا عن ربيعة بن ابي عبد الرحمن انه سيل عن قوله تعالى الرحمن على العرش
استوى غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ
وعلينا التصديق وروى ايضا عن مالك انه سيل عن الاية فقال الكيف
غير معقول والاستوى غير مجهول والايمان واجب والسوال عنه بدعة وروى
عن الشعبي انه سيل عن الاستوى فقال هذا من متشابه القران نومن به
ولا نتعرض لمعناه وعن الشافعي انه قال لما سيل عن الاستوا امنت بلا
تشبيه وصدقت بلا تمثيل واتهمت نفسي في الادراك وامسكت عن الخوض
غاية الامساك وعن احمد بن حنبل انه قال الاستوى كما ذكر لا كما يخطر للبشر
وكلام السلف مستفيض بمثل هذا وقد قال كثير من المتكلمين كابن التلمساني
وغيره ان معنى قولهم والاستوى معلوم يعني ان محامل الاستوى معلومة
في اللغة بعد نفي الاستقرار من القهر والغلبة والقصد الى خلق شي في العرش ونحو ذلك

حي

من محامل الاستوا معلوم في اللغة فهذه المحامل معلومة في اللسان العربي
والكيف مجهول اي تعيين بعض منها مرادا لله مجهول لنا والسوال
عنه بدعة يعني ان تعيينه بطريق الظنون بدعة فانه لم يعهد عن الصحابة
التصرف في اسما الله وصفاته بالظنون قلت وهذا التفسير
عندي غير مرضي فانه لو كان المراد ذلك لقال والجواب عنه بدعة
لان المجيب هو الذي يطلب منه التعيين واما السايل فمجمل وقوله
والاستوا معلوم يعني باعتبار محامله في اللغة ولو كان كذلك لقال
والمراد مجهول والذي يقتضيه صريح اللفظ ان المراد بقولهم الاستوا
معلوم اي وصفه تعالى بانه على العرش استوى معلوم بطريق القطع الثابت
بالتواتر فالوا قوف على حقيقته امر يعود الى الكيفية وهو الذي قيل فيه
والكيف مجهول والجهالة فيه من جهة انه لا سبيل لنا الى معرفة الكيفية
تبع للماهية وقولهم والسوال عنه بدعة لان الصحابة لم يسالوا عنه
رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لم يسيلوا الصحابة ولان جوابهم
يتضمن الكيفية ولهذا فيلزم الجواب لمن دخلت عليهم الشبهة طالبين
بسوالهم التكييف والكيف مجهول فالذي ثبت تعيينه بالشرع والعقل
واتفاق السلف انما هو علم العباد بالكيفية فعندها تنقطع الاطماع
وعن دركها تقصر العقول بل هي قاصرة عما هو دون ذلك هذه الروح
من المعلوم لكل احد خروجها من الجسد وان الملك يقبضها وهذا المعلوم
لكل احد كيفيته مجهولة لكل احد بل كيفية نزول الطعام والشراب الى
الجوف واستقراره كل في محله وتفريق خاصيته في الجسد مجهولة افلا
يعتبر العقل القاصر بذلك عن تعلقه بادراك كيفية استوا ربه على عرشه

سبحانه وتعالى واما اهل التاويل من الخلف فقد اختلفوا في الاستوا
على نحو العشرين قولا وقال الحافظ السيوطي في الاتقان وحاصل
ما رايت في ذلك سبعة اجوبة احدها ما روى مقاتل والكلبي عن ابن عباس
ان استوى بمعنى استقر وهذا ان صح يحتاج الى تاويل فان الاستقرار
مشعر بالتجسيم قلت ولعل المراد ان هذا انما هو تفسير لمجرد معنى
اصل الاستوى فانه الاستقرار كما في قوله تعالى واستوت على الجودي وقوله
فاذا استويت انت ومن معك على الفلك ثانيها ان استوى بمعنى
استولى يعني فالاستوى هو القهر والغلبة ومعناه الرحمن على العرش
وقهره يقال استوى فلان على الناحية اذا غلب اهلها وقهرهم قال الشاعر

قد استوى بشر على العراق ۝ من غير سيف ودم مهراق

ورد بوجهين احدهما ان الله تعالى مستولى على الكونين والجنة
والنار واهلهما فاي فايدة في تخصيص العرش بالذكر ولا يكفي في الجواب
انه حيث قهر العرش على عظمته واتساعه فغيره اولى لان الانسب في مقام
المدح بالعظمة التفخيم بالذكر لقهره الاكوان الكلية باسرها ثانيهما ان الكلام
الاستيلا انما يكون بعد قهره وغلبته والله تعالى منزه عن ذلك وقد
سيل الخليل ابن احمد امام اهل اللغة والنحو هل وجدت في اللغة استوى
بمعنى استولى فقال هذا مما لا تعرفه العرب ولا هو جار في لغتها سيله
عن ذلك بشر المريسي واخرج اللالكاي في السنة عن ابن الاعرابي انه
سيل عن معنى استوى فقال هو على عرشه كما اخبر فقيل له يا عبد الله
معناه استولى فقال اسكت لا يقال استولى على الشى الا اذا كان له مضاد
فاذا غلب احدهما قيل استولى وفي رواية اخرى والله تعالى لا مضاد له وهو

علي

قف على قول الخليل

٢٦

على عرشه كما اخبر ثالثها ان الكلام تم عند قوله الرحمن على العرش ثم ابتدا بقوله
استوى له ما في السموات وما في الارض ورد بانه يزيل الاية عن نظمها ومرادها
رابعها ان الوقف على العرش مستانف قبل وهذا مما لا ينبغي ان يحكى لاستحالته
وبعده مما نقله اهل التواتر من جر العرش وهو قد رفعه ولم يرفعه احد من القرا
وقد جعل على فعلا وهو هنا حرف باتفاق وايضا فلو كانت فعلا لكتبت
بالالف وذكر البيهقي باسناده عن ابن الاعرابي صاحب النحو قال قال لي احمد بن
ابي داود يا ابا عبد الله يصح هذا في اللغة قال قلت يجوز على معنى ولا يجوز
على معنى اذا قلت الرحمن على من العلو فقد تم الكلام ثم قلت العرش استوى يجوز ان
رفعت العرش لانه فاعل ولكن اذا قلت له ما في السموات وما في الارض فهو العرش
فهذا كفر خامسها انه بمعنى صعد قاله ابو عبيد ورد بانه تعالى منزه
عن الصعود ثم الاستوى في اللغة يطلق على العلو والاستقرار نحو استوى
على ظهر دابته وعلى الصعود نحو استوى على السطح وعلى القصد نحو ثم استوى
الى السما وعلى الاستيلا نحو استوى على العراق اي استولى وظهر وعلى الاعتدال
نحو استوى الشي اي اعتدل وعلى الانتها نحو استوى الرجل اي انتهى شانه
وقال بعض المحققين من متكلمي الحنابلة الاستوى يقع على وجهين
ما يتم معناه بنفسه وما يتم بحرف الجر فالاول كقوله استوى النبات واستوى
الطعام والمراد به تم وكمل ومنه قوله تعالى ولما بلغ اشده واستوى اي تم وكمل
والثاني يختلف معناه باختلاف الحروف الجارة كقوله ثم استوى الى السما
وقوله الرحمن على العرش استوى واستوى الامر براي الامير واستوت لفلان الحال
واستوى الماسح الخشبة سادسها ان معنى استوى اقبل على خلق العرش
وعمد الى خلقه كقوله ثم استوى الى السما اي قصد وعمد الى خلقها قاله الفرا

والاشعري وجماعة من اهل المعاني وقال اسماعيل الحزيري انه الصواب قال
السيوطي ويبعده تعديته بعلي ولو كان كما ذكروه لتعدي بالي كما في قوله ثم
استوي الي السما انتهي قلت وايضا فالعرش مخلوق قبل السموات
والارض كما وردت به النصوص وثم للترتيب فكيف عمد الي خلقه بعدهما
قال سبحانه ان ربكم الله الذي خلق السموات والارض في ستة ايام ثم استوي علي
العرش سابعها انه يحمل علي القصد الي خلق شي في العرش كما صار اليه
الثوري قلت هو قريب لكن يرده تعديه بعلي كما تقدم ثامنها ان الاستوي
بمعني العلو بالعظمة والعزة وان صفاته تعالي ارفع من صفات العرش علي
خلالة قدره تاسعها انه بمعني قدر علي العرش وهو قول القدرية والفرق
بينه وبين قهر العرش وغلبه كما مر ان ذلك يحصل منه صفة فعل وهو القهر
وهذا يحصل منه صفة ذات وهي القدرة العاشرها قال ابن اللبان الاستوا
المنسوب اليه تعالي بمعني اعتدل اي قام بالعدل كقوله قايما بالقسط فقيامه
بالقسط والعدل هو استواوه ويرجع معناه الي انه اعطي بعزته كل شي خلقه
موزونا بحكمته البالغة قلت ويرده انه تعدي بعلي فلا يجي ما قاله كما
مر قريبا الحادي عشر ان المراد بالعرش جملة المملكة حافين من حول
العرش وما كان حوله فهو خارج منه والملايكة ليست خارجة عن جملة المملكة
الثاني عشر ان المراد بالاستوي هو انفراده بالتدبير فاذا استوي
له جميع ما خلقه لعدم ما يشاركه فيه قال القرطبي وهذا غير صحيح لانه تعالي
انفرد بكذا ولا يتعالي علي كذا ثم هو يودي الي انه لم يكن منفردا بالتدبير حتي خلق
العرش قال وهذا فساده يغني عن جوابه الثالث عشر ان استوي
بمعني استوي عنده القريب والبعيد فصار واعنده سوا نقله الكلبي عن ابن عباس

قال القرطبي وفيه ركاكة ومثله لا يليق بقول ابن عباس واذا كان الاستوا
بمعني استوي الخلايق فاي شي المعني في قوله استوي علي العرش وقال
هو وغيره الكلبي كذاب لا يحتج بشي من روايته الرابع عشر ان الاستوي
بمعني العلو بالعلي عن العرش قال القرطبي وهذا فاسد لان العرب تقول
استغني عن الشي ولا تقول استغني علي الشي ولانه لو كان بمعني الاستغنا
لادي الي ان يكون انما استغني بعد خلق العرش وايضا فليس لتخصيص العرش
بالذكر فايدة الخامس عشر ان الاستوي صفة فعل بمعني انه تعالي فعل في
العرش فعلا سمي به نفسه مستويا وقال بهذا طايفة منهم الجنيد والسهيلي
السادس عشر انه استوي بمعني تجلي فالاستوي بمعني التجلي وقال بهذا
كثير من مشايخ الصوفية وقالوا قد ثبت له سبحانه صفة التجلي بقوله سبحانه فلما
تجلي ربه للجبل جعله دكا ومعني التجلي هو رفع الحجاب عن العرش الذي كان
محجوبا به ولم يرتفع حجابه جملة اذ لو ارتفع جملة لتدكدك من هيبة الله تعالي
كجبل موسي عليه السلام قلت وربما يرد هذا بان الاستوا ذكر في سبع
مواضع من القران فلو كان المراد به التجلي لعبر عنه في بعضها بالتجلي كما في قوله
فلما تجلي ربه للجبل السابع عشر قول الشيخ ابي الحسن الاشعري حيث قال
مستويا علي عرشه وانفي كل استوا يوجب حدوثه قال القرطبي يحمل الاستوي
في هذا القول من مشكل القران الذي لا يعلم تاويله انتهي وقد كانت طايفة من
الاشعرية يثبتون لفظه ويمتنعون من تاويله الثامن عشر قول
القرطبي وابن ابي زيد والقاضي عبد الوهاب وجماعة من شيوخ الحديث والفقه
وابن عبد البر والقاضي ابي بكر ابن العربي وابن فورك انه سبحانه مستو علي العرش بذاته
واطلقوا في بعض الاماكن فوق عرشه قال القاضي ابو بكر وهو الصحيح الذي اقول به

من غير تحديد ولا تمكين في مكان ولا مماسة قال ابن تيمية على الوجه الذي يستحقه سبحانه من
الصفات اللايقة به قال فان قال قايل لو كان الله فوق العرش للزم اما ان يكون
اكبر من العرش او اصغر او مساويا وذلك كله محال ونحو ذلك من الكلام فهذا لم يفهم
من كون الله على العرش الا ما يثبت للاجسام وهذا اللازم تابع هذا المفهوم اما
استوا يليق بجلال الله ويختص به فلا يلزمه شي من اللوازم الباطلة التي يجب
نفيها كما يلزم ساير الاجسام وصار هذا مثل قول القايل اذا كان للعالم صانع فاما
ان يكون جوهرا او عرضا وكلاهما محال اذ لا يعقل موجود الا كذلك وقوله اذا كان
مستويا على العرش فهو مماثل لاستوا الانسان على السرير والفلك اذ لا يعلم استوا الا
هكذا الان هذا القايل لم يفهم الا اثبات استوا هو من خصايص المخلوقين قال
والقول الفاصل هو ما عليه الامة الوسط من ان الله مستو على عرشه استوا يليق
بجلاله فكما انه موصوف بالعلم والبصر والقدرة ولا يثبت لذلك خصايص
الاعراض التي للمخلوقين فكذلك سبحانه هو فوق عرشه لا يثبت لفوقيته خصايص
فوقية المخلوق على المخلوق تعالى الله عن ذلك **وقال** القرطبي اظهر
الاقوال وان كنت لا اقول به ولا اختاره ما تظاهرت عليه الاي والاخبار
والفضلا الاخيار ان الله سبحانه على عرشه كما اخبر في كتابه بلا كيف باين من
جميع خلقه هذا جملة مذهب السلف الصالح انتهي **قال** من القرطبي
حيث يقول وان كنت لا اقول به ولا اختاره ولعله خشي من تخريف الحمدة
فدفع وهمهم بذلك **وبهذا** قال جماعة من الحنابلة لكن قالوا استوي على الوجه
الذي يستحقه لذاته مما لا يشاركه فيه المحدث ولا يشابهه ولا يماثله ولا يبعد على
اثبات كمية ولا صفة كيفية بل على الوجه الذي يستحقه الله لنفسه قالوا
والى هذا الاشارة في حديث ام سلمة رضي الله عنها الاستوا معلوم والكيف مجهول

قف على قول القرطبي

قف على حديث ام سلمة

والايمان

والايمان به واجب والسوال عنه بدعة والبحث عنه كفر ورضي الله تعالى عن مالك بن
انس حيث قال او كلما جا رجل اجدل من رجل تركنا ما جا به جبريل الي محمد صلى
الله عليه وسلم لجدل هولا وكل من هولا مخصوم بمثل ما خصم به الاخر فلم يبق الا الرجوع
لما قاله الله ورسوله والتسليم لهما **تنبيه** قال الكمال ابن الهمام الحنفي بعد ان
تكلم على الاستوا ما حاصله وجوب الايمان بانه استوي على العرش مع نفي التشبيه
واما كون الاستوا بمعني الاستيلا على العرش مع نفي التشبيه فامر جايز الارادة
اذ لا دليل على ارادته عينا فالواجب عينا ما ذكرنا لكن قال اذا خيف على العامة
عدم فهم الاستوا الا بالاتصال ونحوه من لوازم الجسمية فلا باس بصرف فهمهم الى الاستيلا
قال وعلى نحو ما ذكر كلما ورد مما ظاهره الجسمية في الشاهد كالاصبع واليد والقدم
فان الاصبع واليد صفة له تعالى لا بمعني الجارحة بل على وجه يليق به وهو
سبحانه اعلم به وقد تؤول اليد والاصبع بالقدرة والقهر وقد تؤول اليمين في قوله
الحجر الاسود يمين الله في الارض على التشريف والاكرام لما ذكرنا من صرف فهم العامة
عن الجسمية قال وهو ممكن ان يراد ولا يجزم بارادته على قول اصحابنا انه من
المتشابه وحكم المتشابه انقطاع معرفة المراد منه في هذه الدار والا
لكان قد علم انتهي كلام ابن الهمام

والصورة والساق والرجل والقدم والجنب والحقو والنفس والروح ونحو ذلك
مما اضيف الي الله تعالى مما وردت به الايات والاحاديث مما يوهم التشبيه والتجسيم
تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا **اعلم** ان الله سبحانه مخالف لجميع الحوادث
ذاته لا تشبه الذوات وصفاته لا تشبه الصفات لا يشبهه شي من خلقه ولا
يشبه شيا من الحوادث بل هو منفرد عن جميع المخلوقات ليس كمثله شي لا في ذاته

اعلم

ولا في صفاته ولا في افعاله وكل ما توهمه قلبك او سنح في مجاري فكرك او خطر في
بالك من حسن او بها او شرف او ضيا او جمال او شبح مماثل او شخص متمثل
فالله تعالى بخلاف ذلك واقرا ليس كمثله شي الا ترى انه لما تجلى للجبل تدكدك لعظم
هيبته فكما انه لا يتجلى لشي الا اندك كذلك لا يتوهمه قلب الا هلك وارض لله
بما رضيه لنفسه وقف عند خبره لنفسه مسلما مستسلما مصدقا بلا
مباحثة التنقير وله تعالى صفات مقدسة طريق اثباتها السمع فنثبتها ولا
نعطلها لورود النص بها ولا نكيفها ولا نمثلها **وقد** غلت طايفة في التعبير
فعطلته محتجين بان الاشتراك في صفة من صفات الاثبات يوجب الاشتباه فزعموا
ان الله سبحانه لا يوصف بالوجود بل يقال انه ليس بمعدوم ولا يوصف بانه حي ولا قادر
ولا عالم بل يقال انه ليس بميت ولا عاجز ولا جاهل وهذا مذهب اكثر الفلاسفة
والباطنية **وغلت** طايفة اخرى في الاثبات فشبهته فاثبتت له الصورة
والجوارح حتى ان الهاشمية من غلاة الرافضة زعموا كما قال القرطبي ان معبودهم
سبعة اشبار بشبر نفسه وقالت الكرامية انه جسم قال وقد بالغ بعض اهل
الاهوا فقال انه على صورة الانسان ثم اختلفوا فمنهم من قال انه على صورة شيخ
اشمط الراس واللحية ومنهم من قال انه على صورة شاب امرد جعد قطط
ومنهم من قال انه مركب من لحم ودم ومنهم من قال انه على قدر
مسافة العرش لا يفضل من احدهما عن الاخر شي تعالى الله عن اقوالهم علوا كبيرا
وعن مثل هذا نهى الله تعالى بقوله يا اهل الكتاب لا تغلوا في دينكم ولا تقولوا على
الله الا الحق وقال ابن تيمية واول من قال ان الله جسم هو هشام ابن الحكم
الرافضي **وفرقة** اخرى اثبتت ما اثبته السمع والبصر والعلم والقدرة وهم
المعتزلة كما تقدم **وفرقة** اخرى اثبتت الصفات المعنوية من نحو السمع والبصر

بالسمع

والعلم والقدرة والكلام وهو مذهب جمهور اهل السنة والجماعة ومنهم اتباع
ايمة المذاهب الاربعة **ثم** اختلفوا فيما ورد به السمع من لفظ العين واليد
والوجه والنفس والروح **ففرقة** اولتها على ما يليق بجلال الله تعالى وهم
جمهور المتكلمين من الخلف فعدلوا بها عن الظاهر الى ما يحتمله التاويل من المجاز
والاتساع خوفا من توهم التشبيه والتمثيل **وفرقة** اثبتت ما اثبته الله
ورسوله منها واجروه على ظواهرها ونفوا الكيفية والتشبيه عنها قايلين ان
اثبات الباري سبحانه انما هو اثبات وجود بما ذكرنا لا اثبات كيفية فكذلك
اثبات صفاته انما هي اثبات وجود لا اثبات تحديد وتكييف فاذا قلنا يد
ووجه وسمع وبصر فانما هي صفات اثبتها الله لنفسه فلا نقول ان معنى
اليد القوة والنعمة ولا معنى السمع والبصر العلم ولا نقول انها جوارح وهذا
المذهب هو الذي نقل الخطابي وغيره انه مذهب السلف ومنهم الايمة الاربعة
وبهذا المذهب قال الحنفية والحنابلة وكثير من الشافعية وغيرهم وهو اجرا
ايات الصفات واحاديثها على ظاهرها مع نفي الكيفية والتشبيه عنها
محتجين بان الكلام في الصفات فرع عن الكلام في الذات فاذا كان اثبات الذات
اثبات وجود لا اثبات تكييف فكذلك اثبات الصفات اثبات وجود لا اثبات
تكييف وقالوا انا لا نلتفت في ذلك الى تاويل اسنا منه على ثقة ونخشى لاحتمال
ان يكون المراد غيره لان التاويل انما هو امر ماخوذ بطريق الظن والتجويز لا على
سبيل القطع والتحقيق فلا يجوز ان يبنى الاعتقاد على امور مظنونة ويعرض
عن ما ثبت بالقطع والنص وهذا مذموم عند السلف **قال** القاضي
ابو يعلى في كتاب ابطال التاويل لا يجوز رد هذه الاخبار ولا التشاغل بتاويلها
والواجب حملها على ظاهرها وانها صفات لله لا تشبه صفات الخالق ولا نعتقد

التشبيه فيها لكن على ما روي عن الامام احمد وسائر الايمة وذكر بعض كلام الزهري
ومكحول ومالك والثوري والليث وحماد بن زيد وحماد بن سلمة وابن عيينة
والفضيل بن عياض ووكيع وعبد الرحمن بن مهدي واسحق بن راهويه
وابي عبيد ومحمد بن جرير الطبري وغيرهم في هذا الباب وفي حكاية الفاظهم طول
الى ان قال ويدل على ابطال التاويل ان الصحابة والتابعين حملوها على ظواهرها
ولم يتعرضوا لتاويلها ولا صرفها عن ظاهرها فلو كان التاويل سايغا لكانوا
اليه اسبق لما فيه من ازالة التشبيه ورفع الشبهة انتهى **قال** القرطبي
قال الامام الترمذي بعد ذكره حديث ما تصدق احد بصدقة الا اخذها الرحمن
بيمينه وقد قال غير واحد من اهل العلم في هذا الحديث وما اشبه هذا من
الروايات من الصفات ونزول الرب تبارك وتعالى كل ليلة الى سما الدنيا قد ثبتت
الروايات في هذا ونومن بها ولا نتوهم ولا يقال كيف هكذا روي عن مالك
ابن انس وسفيان ابن عيينة وعبد الله بن المبارك وهذا قول اهل العلم من
اهل السنة والجماعة واما الجهمية فانكرت هذه الروايات وقالوا هذا تشبيه
وقد ذكر الله تعالى في غير موضع من كتابه اليد ونحوها فتاولت الجهمية هذه
الايات وفسروها على ما فسر اهل العلم فقالوا ان الله لم يخلق ادم بيده وقالوا
معنى اليد هنا القدرة **قال** الخطابي انها ليست بجوارح ولا اعضا
ولا اجزا ولكنها صفات لا كيفية لها ولا تتاول فيقال معنى اليد النعمة
او القوة ومعنى السمع والبصر العلم ومعنى الوجه الذات على ما ذهب اليه
نفاة الصفات وقال ابن عبد البر اهل السنة مجمعون على الاقرار بالصفات
الواردة كلها في القران والسنة والايمان بها وحملها على الحقيقة لا المجاز الا انهم
لا يكيفون شيا من ذلك ولا يحدون فيه صفة مخصوصة واما اهل البدع

الجهمية

قف على قول القرطبي

الجهمية والمعتزلة كلها والخوارج فكلهم ينكرها ولا يحمل شيا منها على الحقيقة ويزعم
ان من اقر بها مشبه وهم عند من اقر بها نافون للمعبود والحق فيما قاله القايلون
بما نطق به كتاب الله وسنة رسوله وهم ايمة الجماعة انتهى كلام الحافظ ابن عبد البر امام
اهل المغرب في عصره **وقال** القرطبي قال اسحاق بن ابراهيم انما يكون
التشبيه اذا قال يد كيد او مثل يد او سمع كسمع او مثل سمع فاذا قال سمع كسمع
او مثل سمع فهذا التشبيه واما اذا قال الله تعالى يد وسمع وبصر ولا يقول
كيد ولا مثل سمع ولا كسمع فهذا لا يكون تشبيها وهو كما قال سبحانه ليس
كمثله شي وهو السميع البصير **وروى** حرملة بن يحيى قال سمعت عبد الله
ابن وهب يقول سمعت مالك بن انس يقول من وصف شيا من ذات الله تعالى
مثل قوله وقالت اليهود يد الله مغلولة فاشار بيده الى عنقه قطعت
ومثل قوله وهو السميع البصير فاشار الى عينيه واذنيه او شي من بدنه
قطع ذلك منه لانه شبه الله تعالى بنفسه **وقال** بعض المحققين
ان صفات الرب تعالى معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث
التكييف والتحديد فيكون المومن بها مبصرا من وجه اعمى من وجه مبصرا
من حيث الاثبات والوجود اعمى من حيث التكييف والتحديد قال
ولهذا يحصل الجمع بين الاثبات لما وصف الله به نفسه وبين نفي التحريف
والتشبيه والوقوف وذلك هو مراد الرب منا في ابراز صفاته لنا لنعرفه بها
ونومن بحقايقها وننفي عنها التشبيه ولا نعطلها بالتحريف والتاويل انتهى
قال الخطابي فان قيل كيف تتعاطى وصفا بشي لا درك له في عقولنا قيل
له انا ايمننا بصحيح الايمان بما لا نحيط به علما بحقيقته او كيف نتعاطى وصفا
بشي لا درك له في عقولنا قيل له ان ايماننا صحيح بحق ما كلفناه منها وعلمنا

قف على قول مالك رحمه الله

يحيط بالامر الذي الزمناه فيها وان لم نعرف لماهيتها حقيقة وكيفية وقد
امرنا ان نؤمن بالله وملايكته وكتبه ورسله واليوم الاخر والجنة ونعيمها والنار
واليم عذابها وعقابها ومعلوم انا لا نحيط بكل شي منها علي التفصيل وانما كلفنا
الايمان بها جملة الا تري انا نعلم عدد اسما الانبيا وكثير من الملايكة ولا نحيط
بصفاتهم ولا نعلم خواص معانيهم ولم يكن ذلك قادحا في ايماننا بما امرنا ان
نؤمن به من امرهم وقد حجب عنا علم الروح ومعرفة كيفيته مع علمنا بانه
الذي التمييز وبه تدرك المعارف وهذه كلها مخلوقة لله فما ظنك بصفات
رب العالمين سبحانه اذا تقرر هذا **فمن المتشابه الوجه** في قوله تعالى
ويبقي وجه ربك وقوله فاينما تولوا فثم وجه الله وقوله انما نطعمكم لوجه الله وفي
الحديث من بني مسجدا يبتغي به وجه الله تعالي ومن حديث اعوذ بوجهك
والاحاديث كثيرة **وتاويله** عند اهل التاويل ان المراد بالوجه الذات المقدسة
فاما صفة زايدة علي الذات فلا وهو قول المعتزلة وجمهور المتكلمين **ويروى**
عن ابن عباس الوجه عبارة عنه عز وجل كما قال ويبقي وجه ربك وقال
ابن فورك قد تذكر صفة الشي والمراد به الموصوف توسعا كما يقول القايل رايت
علي فلان ونظرت الي علمه والمراد بذلك نظرت الي العالم وقال القرطبي
قال الحذاق الوجه راجع الي الوجود والعبارة عنه بالوجه من مجاز الكلام اذ كان
الوجه اظهر الاعضا في المشاهدة **وقال** ابو المعالي واما الوجه فالمراد به
وجود الباري تعالي عند معظم ايمتنا والدليل علي ذلك قوله تعالي ويبقي وجه
ربك والموصوف بالبقا عند تعرض الخلق للفنا هو وجود الباري تعالي وقوله
تعالي انما نطعمكم لوجه الله المراد به لله الذي له الوجه اي الوجود وكذلك قوله
الا ابتغا وجه ربه الاعلي اي الذي له الوجه **وقيل** في قوله فاينما تولوا فثم

وجه

وجه الله اي فثم رضا الله وثوابه وانما نطعمكم لوجه الله اي لرضاه وطلب
ثوابه ومنه من بني مسجدا يبتغي به وجه الله وقيل المراد فثم وجه الله
والوجه صلة او الوجه عبارة عن الذات اي فثم ذاته بمعني الحصول العلمي
اي بعلمه معكم اينما كنتم وقيل المراد بالوجه الجهة التي وجهنا الله اليها اي
القبلة وحكي المزني عن الشافعي فاينما تولوا فثم وجه الله يعني الذي وجهكم اليه
اي فهناك جهته وقبلته التي امر بها **ومذهب السلف** ان الوجه صفة
ثابتة لله ورد بها السمع فتتلقي بالقبول ويبطل مذهب اهل التاويل ما قاله
البيهقي والخطابي من قوله تعالي ويبقي وجه ربك ذو الجلال فاضاف الوجه الي
الذات واضاف الوجه النعت الي الوجه فقال ذو الجلال ولو كان ذكر الوجه
صلة ولم يكن صفة للذات لقال ذي الجلال فلما قال ذو الجلال علمنا انه نعت
للوجه وان الوجه صفة للذات **وقالت** الحنابلة لتاييد مذهب السلف
انه قد ثبت في الخطاب العربي الذي اجمع عليه اهل اللغة ان تسمية الوجه
في اي محل وقع من الحقيقة والمجاز يزيد علي قولنا ذات فاما في الحيوان فذلك
مشهور حقيقة ولا يمكن دفعه واما في مقامات المجاز فكذلك ايضا لانه يقال فلان
وجه القوم لا يراد به ذوات القوم اذ ذوات القوم غيره قطعا ويقال هذا وجه
الثوب لما هو لجوده ويقال هذا وجه الراي اصحه واقومه واثبت بالخبر
علي وجهه اي علي حقيقته الي غير ذلك مما يقال فيه الوجه فاذا كان هذا هو
المستقر في اللغة وجب ان يحمل الوجه في حق الباري علي وجه يليق به صفة
زايدة علي تسمية قولنا ذات فان قيل يلزم ان يكون عضوا وجارحة
ذات كمية وكيفية وهو باطل فالجواب ما قالوه ان هذا لا يلزم لان
ما ذكره المعترض ثبت بالاضافة الي الذات في حق الحيوان المحدث لا من خصيصة

صفة الوجه ولكن من جهة صفة نسبة الوجه الى جملة الذات فيما ثبت
للذات من الماهية المركبة وذلك مما ادركناه بالحس في جملة الذات
فكانت الصفات مساوية للذات بطريق انها منها ومنتسبة اليها
نسبة الجزء من الكل فاما الوجه المضاف للباري سبحانه فانا ننسبه
اليه في نفسه نسبة الذات اليه وقد ثبت ان الذات في حق الباري لا توصف
بانها جسم مركب تدخله الكمية وتتسلط عليها الكيفية ولا نعلم لها ماهية
نحققه التي هي الوجه كذلك لا يوصل لها الى ماهية ولا يوقف لها على
كيفية ولا تدخلها التجزية الماخوذة من الكمية لان هذه انما هي صفات
الجواهر المركبة اجساما والله منزه عن ذلك ولو جاز هنا الاعتراض
في الوجه لقيل مثله في السمع والبصر والعلم فان العلم في الشاهد عرض
قايم بقلب يثبت بطريق ضرورة او اكتساب وذلك غير لازم في حق
الباري لانه مخالف للشاهد في الذاتية وغير مشارك لها في اثبات
ماهية او كمية او كيفية **وقال** الشيخ ابو الحسن الاشعري ان
الله تعالى على عرشه كما قال الرحمن على العرش استوى وان له يدين بلا
كيفية كما قال خلقت بيدي وان له عينين بلا كيف كما قال تجري باعيننا
وان له وجها بلا كيف كما قال ويبقى وجه ربك وانه يجي يوم القيامة
وملايكته كما قال وجا ربك والملك صفا صفا وانه يقرب من عباده كيف
شا كما قال ونحن اقرب اليه من حبل الوريد وندين انه يقلب القلوب
بين اصبعين من اصابعه وانه يضع السموات على اصبع والارضين على
اصبع كما جات به الرواية الى ان قال ونصدق بجميع الروايات التي
يثبتها اهل النقل من النزول الى سما الدنيا واطال الكلام في هذا وامثاله

قف على قول الشيخ ابو الحسن الاشعري رحمه الله

في

في كتابه الذي سماه الابانة في اصول الديانة وقد ذكر اصحابه انه اخر
كتاب صنفه وعليه يعتمدون في الذب عنه عند من يطعن عليه
وقال القاضي ابن الباقلاني فان قال قايل في الدليل على ان لله
وجها ويدا قيل له قوله ويبقى وجه ربك وقوله لما خلقت بيدي
فاثبت لنفسه وجها ويدا **وقد** تقدم كلام الامام ابي حنيفة رحمه الله
حيث قال وله تعالى وجه ويد ونفس فما ذكر الله تعالى في القران من ذكر
الوجه واليد والنفس فهو له صفات بلا كيف ولا يقال ان يده قدرته
او نعمته لان فيه ابطال الصفة وهو قول اهل القدر والاعتزال الى اخر
ما قال كما تقدم **تنبيه** روى مسلم وابن ماجه حديث ان الله
لا ينام ولا ينبغي له ان ينام حجابه النور لو كشفه لاحرقت سبحات
وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه قال النووي معناه الاخبار
ان الله تعالى لا ينام وانه مستحيل في حقه النوم فان النوم انغمار وغلبة
على العقل يسقط به الاحساس والله سبحانه منزه عن ذلك وسبحات وجهه نوره
وجلاله وبهاوه بضم السين والبا وقيل سبحات الوجه محاسنه لانه
يقال سبحان الله عند روينها والحجاب اصله في اللغة المنع والستر وهو
انما يكون للاجساد والله منزه عن ذلك والمراد هنا المانع من رويته
وسمي ذلك المانع نورا لانه يمنع في العادة من الادراك كشعاع الشمس
والمراد بالوجه الذات والمراد بما انتهى اليه بصره جميع المخلوقات لان بصره
سبحانه محيط بجميع الكاينات والتقدير لو زال المانع من رويته وهو
الحجاب المسمى نورا وتجلى لخلقه لاحرق جلال ذاته جميع مخلوقاته لكنه
محتجب عن الخلق بانوار عزه وجلاله وقيل الحجاب المذكور في هذا الحديث

قف على قول ابي حنيفة رحمه الله

وغيره يرجع الى الخلق لانهم هم المحجوبون عنه فالحجاب الذي على اعين الناس
راجع الى منع الابصار من الاصابة بالرؤية فلو كشف الحجاب الذي على اعين
الناس ولم يثبتهم لرؤيته لاحترقوا من جلاله وهيبته كما خر موسى صعقا
وتقطع الجبل دكا حين تجلى سبحانه له **ومن المتشابه العين** في قوله تعالى
ولتصنع على عيني وقوله فانك باعيننا اي بمرأى منا اي ونحن نراها وان
المراد باعيننا اي بحفظنا وكلايتنا وان المراد به اعين الماء تجري بامر
خلقناها وتجرى بها في اضافة تملك لا اضافة صفة ذاتية والمراد بتجري
بأوليائنا وحيا رخلقنا **وقوله** ولتصنع على عيني اي تربى وتغذى
على مرأى مني وكذا فانك باعيننا اي بمرأى منا وفي حفظنا كقولهم
انت بعين الله اي في حفظه وقال بعضهم العين تؤول
بالبصر والادراك بل قيل انها حقيقة في ذلك خلافا لتوهم بعض
الناس انها مجاز قال وانما المجاز في تسمية العضو بها **ومذهب**
السلف اثبات ذلك صفة له تعالى لحديث البخاري ومسلم وغيرهما حين
ذكر الدجال عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ان الله لا يخفى عليكم ان الله
ليس باعور واشار بيده الى عينيه الحديث قال القرطبي قال
العلماء منهم البيهقي وفي هذا نفي نقص الاعور عن الله تعالى واثبات العين
له صفة وعرفنا بقوله تعالى ليس كمثله شيء انها ليست بحدقة وان الوجه
ليس بصورة وانما صفة ذات انتهى **وقالت** الحنابلة قد ورد
السمع باثبات صفة له تعالى وهي العين تجري مجرى السمع والبصر
وليس المراد به اثبات عين هي حدقة ماهيتها متحيزة لان هذه العين
جسم محدث واما العين التي وصف بها الباري فهي مناسبة لذاته

في

في كونها غير جسم ولا جوهر ولا عرض ولا يعرف لها ماهية ولا كيفية قالوا
وقد امتنعت المعتزلة والاشعرية من ان يقال بسعين فاما المعتزلة
فيقوى ذلك عندهم لانهم لا يقولون سميع بسمع بصير ببصر بل يقولون
بصير لذاته سميع لذاته واما الاشعرية فيضعف هذا على قولهم لانهم
يوافقونا على انه بصير ببصر سميع بسمع وانما امتنعوا من تسميته عينا
لما استوحشوا من معنى العين في الشاهد فقالوا بالتاويلات ومن
الفاسد قياس الغايب على الشاهد **ومن المتشابه اليد** في قوله تعالى
يد الله فوق ايديهم لما خلقت بيدي بل يداه مبسوطتان مما عملت ايدينا
قل ان الفضل بيد الله **وتاويله** ان المراد باليد القدرة وقال الاشعري
اليد صفة ورد بها الشرع والذي يلوح من معنى هذه الصفة انها قريبة
من معنى القدرة الا انها اخص والقدرة اعم كالمحبة مع الارادة والمشية
فان في اليد تشريفا لازما وذهبت المعتزلة وطايفة من الاشعرية الى
ان المراد باليدين في قوله لما خلقت بيدي معنى النعمتين وطايفة
من الاشعرية ان المراد باليدين هنا القدرة لان اليد في اللغة عبارة
عن القدرة كقوله ٭ فقمت وما لي بالامور يدان ٭ ويحقق هذا ويوضحه
ان الخلق من جهة الله انما هو مضاف الى قدرته لا الى يده ولهذا يستقل
في ايجاد الخلق بقدرته ويستغني عن يد وآلة يفعل بها مع قدرته
وقوله بل يداه مبسوطتان ثنى اليد مبالغة في الرد على اليهود
ونفي البخل عنه واثباتا لغاية الجود فان غاية ما يبذله السخي من ماله
ان يعطيه بيديه وثنيها على منح الدنيا والاخرة **او** المراد بالتثنية
باعتبار نعمة الدنيا ونعمة الاخرة **او** باعتبار قوة الثواب وقوة العقاب

قف على قولهم الاشعري رحمه الله

ومذهب السلف والحنابلة ان المراد اثبات صفتين ذاتيتين تسميان
بيدين تزيدان على النعمة والقدرة محتجين بان الله تعالى اثبت لادم من المزية
والاختصاص ما لم يثبت مثله لابليس بقوله لما خلقت بيدي والا لكان ابليس
يقول وانا ايضا خلقتني بيديك فلا مزية لادم ولا تشريف فان قال
انما اضيف ذلك الى ادم ليوجب له التشريف وتعظيما على ابليس ومجرد
النسبة في ذلك كاف في التشريف كناقة الله وبيت الله فهذا كاف
في التشريف وان كانت النوق والبيوت كلها لله فالجواب ما قالوه
ان التشريف بالنسبة اذا تجردت عن اضافة الى صفة اقتضى مجرد التشريف
فاما النسبة اذا اقترنت بذكر صفة اوجب ذلك اثبات الصفة التي لولاها
ما تمت النسبة فان قولنا خلق الله الخلق بقدرته لما نسب الفعل الى تعلقه
بصفة الله اقتضى ذلك اثبات الصفة وكذا احاط بالخلق بعلمه تقتضي
احاطة بصفة هي العلم فكذلك هنا لما كان ذكر التخصيص مضافا الى
صفة وجب اثبات تلك الصفة على وجه يليق به سبحانه لا بمعنى العضو
والجارحة والجسمية والبعضية والكمية والكيفية تعالى الله عن ذلك
وايضا لو اراد باليد النعمة لقال لما خلقت بيدي لانه خلق بالنعمة
لا بنعمة وايضا فقدرة الله واحدة لا تدخلها التثنية والجمع وقال
البغوي في قوله بيدي في تحقيق الله التثنية في اليد دليل على انها ليست
بمعنى القدرة والقوة والنعمة وانهما صفتان من صفات ذاته وقال
ابن اللبان فان قلت فما حقيقة اليدين في خلق ادم قلت الله اعلم بما اراد قال
والذي يظهر ان اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله وصفة
عدله وقال البيهقي في كتاب الاسما والصفات باب ما جاء في اثبات

اليدين

اليدين صفتين لا من حيث الجارحة قال الله يا ابليس ما منعك ان تسجد
لما خلقت بيدي وقال بل يداه مبسوطتان وذكر الاحاديث الصحاح في ذلك
كحديث يا ادم انت ابو البشر خلقك الله بيده وحديث انت موسى اصطفاك
الله بكلامه وخط لك الالواح بيده وفي لفظ وكتب لك التوراة بيده
وذكر احاديث كثيرة مثل والخير بيديك وقال البيهقي قال بعض اهل
النظر قد تكون اليد بمعنى القوة كقوله داود ذا الايد ذا القوة وبمعنى الملك
والقدرة كقوله ان الفضل بيد الله وبمعنى النعمة كقولهم لي عند فلان
يد وتكون صلة اي زايدة كقوله مما عملت ايدينا انعاما اي مما عملناه
نحن وبمعنى الجارحة كقوله وخذ بيدك ضغثا قال فاما قوله لما خلقت
بيدي فلا يجوز حمله على الجارحة لان البارى واحد لا يتبعض ولا على القوة
والقدرة والملك والنعمة والصلة لان الاشتراك يقع حينيذ بين وليه
ادم وعدوه ابليس ويبطل ما ذكره من تفضيله عليه لبطلان معنى
التخصيص اذ الشياطين والا ابليس وجماعة الكفرة خلقهم الله بقدرته
ونعمه على ادم غير منحصرة فلم يبق الا ان يحملا على صفتين تعلقتا بخلق
ادم تشريفا له دون خلق ابليس تعلق القدرة بالمقدور لا من طريق
المباشرة ولا من حيث المماسة وليس كذلك التخصيص وجه غير
ما بينه الله تعالى في قوله لما خلقت بيدي انتهى تنبيه
من هذا النمط حديث الترمذي وابن ماجة ان الله تعالى لما خلق الخلق
كتب بيده على نفسه ان رحمتي تغلب غضبي وفي حديث اخر ان الله
تعالى خلق ثلاثة اشيا بيده خلق ادم بيده وكتب التوراة بيده وغرس
الفردوس بيده وحديث احمد ومسلم ان الله تعالى يبسط يده بالليل

ليتوب مسيء النهار ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل

بسط اليد استعارة في قبوله التوبة وانما ورد لفظ البسط لان العرب اذا
رضي احدهم الشيء بسط يده لقبوله واذا كرهه قبضها عنه فخوطبوا بما
يفهمونه وهو مجاز فان يد الجارحة مستحيلة في حقه تعالى **ومن**
المتشابه القبضة واليمين في قوله تعالى والارض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات
مطويات بيمينه وحديثا البخاري ومسلم يقبض الله الارض يوم القيامة
ويطوي السما بيمينه ثم يقول انا الملك اين ملوك الارض وحديث
مسلم يطوي الله السموات يوم القيامة ثم ياخذهن بيده اليمنى الحديث
وحديث مسلم ايضا ياخذ الله سمواته وارضيه بيديه فيقول انا الله
ويبسطها انا الملك قال البيهقي المتقدمون من هذه الامة لم يفسروا
ما ورد من الاي والاخبار في هذا الباب مع اعتقادهم باجمعهم ان الله
واحد لا يجوز عليه التبعيض قال وذهب بعض اهل النظر الى ان
اليمين يراد به اليد واليد لله صفة بلا جارحة فكل موضع ذكرت
فيه من الكتاب والسنة فالمراد بذكرها تعلقها بالمكان المذكور معها
من الطي والاخذ والقبض والبسط والقبول والانفاق وغير ذلك تعلق
الصفة الذاتية بمقتضاها من غير مباشرة ولا مماسة وليس في ذلك
تشبيه بحال وهذا مذهب الحنابلة قال الخطابي وليس معنى اليد
عندنا الجارحة وانما هي صفة جا بها التوقيف فنحن نطلقها على ما جاءت ولا
نكيفها وننتهي الى حيث انتهى بها الكتاب والاخبار الصحيحة وهو مذهب
اهل السنة والجماعة وقال بعض اهل النظر وبالكلام في البيضاوي
وغيره في الاية هو تنبيه على عظمته وكمال قدرته على الافعال العظام التي

تتحير

تتحير منها الاوهام ودلالة تدل على ان تخريب العالم اهون شي عليه على
طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة واليمين لا حقيقة ولا
مجازا وقال بعضهم هو بيان عظمة الله وجلاله وقدرته وان
المكنونات كلها منقادة لارادته ومسخرات بامره **وذهب**
اخرون الى ان القبض قد يكون بمعنى الملك والقدرة كقولهم فلان
لاذ في قبضتي اي قدرتي ويقولون الاشياء في قبضة الله اي في ملكه وقدرته
وعلى هذا التاويل تخرج الاية والحديث **تنبيه** في حديث مسلم
وغيره ان المقسطين عند الله يوم القيامة على منابر من نور عن يمين
الرحمن وكلتا يديه يمين الذين يعدلون في حكمهم واهليهم وما
ولوا قال النووي هو من احاديث الصفات اما نومن بها ولا
نتكلم بتاويل ونعتقد ان ظاهرها غير مراد وان لها معنى يليق بالله تعالى
او نتاول على ان المراد بكونهم على اليمين الحالة الحسنة والمنزلة الرفيعة
وقوله وكلتا يديه يمين فيه تنبيه على انه ليس المراد باليمين الجارحة
وان يديه تعالى بصفة الكمال لا نقص في واحدة منهما لان الشمال تنقص
عن اليمين بمعنى التبجيل والتعظيم يقال فلان عندنا باليمين اي
بالمحل الجليل ومنه قول الشاعر

اقول لنا قتي اذ ابلغتني ° اصبحت عندي باليمين

اي المحل الرفيع **قلت** احسن من هذا ما اوردته في كتابي
القول البديع في علم البديع في باب التمثيل ما انشده الرماح بن ميادة في قوله

الم اك في يمنى يديك جعلتني ° فلا تجعلني بعدها في شمالكا

اراد ان يقول الم اكن قريبا منك فلا تجعلني بعيدا عنك فعدل عنه

الى لفظ التمثيل لما فيه من زيادة المعنى لما يعطيه لفظا اليمين والشمال
من الاوصاف لان اليمين اشد قوة معدة للطعام والشراب والاخذ والعطاء
ولكل ما شرف والشمال بالعكس واليمين مشتق من اليمن وهو البركة
والشمال من الشوم ولهذا قال الم اكن مكرما عندك فلا تجعلني بمهانا وكنت
منك في المكان الشريف فلا تجعلني في الوضيع قال البيهقي وقد روي
ذكر الشمال لله تعالى من طريقين في احدهما جعفر بن الزبير وفي الاخر يزيد
الرقاشي وهما متروكان وكيف يصح ذلك وقد صح عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه سمى كلتا يديه يمين وكان من قال ذلك ارسله من لفظه على ما وقع له
او على عادة العرب من ذكر الشمال في مقابلة اليمين وقال الخطابي
ليس فيما يضاف الى الله تعالى من صفة اليدين شمال لان الشمال محل النقص
والضعف والله اعلم **واما الاصابع** فروى البخاري ومسلم
عن ابن مسعود قال جاء حبر الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا محمد او يا ابا القاسم
ان الله يمسك السموات يوم القيامة على اصبع والارضين على اصبع والشجر
على اصبع والماء والثرى على اصبع وسائر الخلائق على اصبع ثم يهزهن فيقول
انا الملك انا الملك فضحك رسول الله صلى الله عليه وسلم تعجبا مما قال الحبر
وتصديقا له ثم قرا وما قدروا الله حق قدره والارض جميعا قبضته يوم
القيامة والسموات مطويات بيمينه وقال البخاري انه اذا كان
يوم القيامة جعل الله السموات على اصبع والارضين على اصبع والخلائق
على اصبع ثم يهزهن ثم يقول انا الملك فلقد رايت النبي صلى الله عليه وسلم
يضحك حتى بدت نواجذه تعجبا وتصديقا لقوله ثم قال النبي صلى
الله عليه وسلم وما قدروا الله حق قدره الى قوله يشركون الترمذي

وصححه

تا

تال

وصححه عن ابن عباس قال مر يهودي بالنبي صلى الله عليه وسلم فقال له
يا يهودي حدثنا فقال كيف تقول يا ابا القاسم اذا وضع الله السموات
على ذه والارضين على ذه والجبال على ذه والماء على ذه وسائر الخلق على ذه
واشار بخنصره اولا ثم تابع حتى بلغ الابهام فانزل الله وما قدروا الله
حق قدره وروى البخاري ومسلم حديث ان قلوب بني ادم كلها
بين اصبعين من اصابع الرحمن كقلب واحد يصرفها كيف يشاء ثم قال
عليه السلام اللهم مصرف القلوب صرف قلوبنا الى طاعتك قال
الخطابي وذكر الاصابع لم يوجد في شيء من الكتاب والسنة المقطوع
بصحتها واعترض بان ذلك ثابت في صحيح مسلم لكن الواجب في
هذا ان تمر كما جاءت ولا يقال فيها ان معناها النعم ولا ان يقال اصبع
او اصابع كاصابعنا ولا يدا كايدينا ولا قبضة كقبضتنا وقال
النووي هذه من احاديث الشبهات وفيها القولان احدهما الايمان بها
من غير تعرض لتاويل ولا لمعرفة المعنى بل يؤمن بها وان ظاهرها غير
مراد لقوله تعالى ليس كمثله شيء والثاني يتاول بحسب ما يليق فعلى
هذا فالمراد المجاز كما يقال فلان في قبضتي وفي كفي لا يراد انه حال في كفه
بل المراد تحت قدرتي ويقال فلان في خنصري وبين اصبعي اقلبه
كيف اشاء يعني انه هين علي قهره والتصرف فيه كيف
شئت فمعنى الحديث انه سبحانه يتصرف في قلوب عباده وغيرها كيف
شاء لا يمتنع عليه منها شيء ولا يفوته ما اراده كما لا يمتنع على الانسان ما كان
بين اصبعيه فخاطب العرب بما يفهمونه ومثله بالمعاني الحسية تاكيدا له
في نفوسهم فان قيل قدرة الله تعالى واحدة والاصبعان للتثنية

قال والجواب ان هذا مجاز واستعارة واقعة موقع التمثيل بحسب ما اعتاده
غير مقصود به التثنية والجمع وفي النهاية اطلاق الاصابع عليه تعالى مجاز
كاطلاق اليد واليمين والعين والسمع وهو جار مجرى التمثيل والكناية عن
سرعة تعلق القلوب وان ذلك امر معقود بمشيئة الله وتخصيص ذكر
الاصابع كناية عن اجزاء القدرة والبطش لان ذلك باليد والاصابع وقال
القرطبي وغيره والاصبع قد تكون بمعنى القدرة على الشيء وسهولة تقليبه
كما يقول من استسهل شيئا او استخفه مخاطبا لمن استثقله انا احمله على
اصبعي وارفعه باصبعي وامسكه بخنصري فهذا مما يراد به الاستظهار
في القدرة على الشيء فلما كانت السموات والارض اعظم الموجودات وكان
امساكها الى الله كالشيء الحقير الذي نجعله بين اصابعنا ونهزه بايدينا
ونتصرف فيه كيف شئنا دل ذلك على قوته القاهرة وعظمته الباهرة
لا اله الا هو سبحانه وقال بعض المحققين هذا الحديث من
جملة ما يتنزه السلف عن تاويله كاحاديث السمع والبصر واليد فان ذلك
يحمل على ظاهره ويجري بلفظه الذي جاء به من غير ان يشبه بمشبهات
الجنس ويحمل على معنى المجاز والاتساع بل يعتقد انها صفات الله تعالى
لا كيفية لها وانما تنزهوا عن تاويل هذا القسم لانه لا يلتئم معه ولا يحمل
ذلك على وجه ينفيه العقل او يمنع منه الكتاب والسنة من وجه
اخر قال ومثل هذا البيت في الحقيقة من اقسام الصفات ولكن الفاظها
هانية وضع الاسم وقال الطيبي ليعلم ان للناس فيما جاء من صفات
الله فيما يشبه صفات المخلوقين تفصيلا وذلك ان المتشابه قسمان
قسم يقبل التاويل وقسم لا يقبله بل علمه مختص بالله تعالى ويقفون عند

قوله

قوله تعالى وما يعلم تاويله الا الله كالنفس في قوله تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في
نفسك والمجيء في قوله وجاء ربك والملك وتاويل فواتح السور مثل الم وحم
من هذا القبيل وذكر الشيخ السهروردي في كتاب العقايد خبر الله تعالى
انه استوى على العرش وخبر رسوله بالنزول وغير ذلك مما جاء به مما جاء في اليد
والقدم والتعجب فكل ما ورد من هذا القبيل دلائل التوحيد فلا يتصرف فيه
بتشبيه ولا تعطيل فلولا اخبار الله تعالى واخبار رسوله ما تجاسر عقل
ان يحوم حول ذلك الحمى وتلاشى دونه عقل العقلاء ولب الالباء قال الطيبي
هذا المذهب هو المعتمد عليه وبه يقول السلف الصالح ومن ذهب الى
التاويل يشترط فيه ان يكون مما يؤدي الى تعظيم الله تعالى وجلاله وتنزيهه
وكبريائه وما لا تعظيم فيه فلا يجوز الخوض فيه فكيف بما يؤدي الى التجسيم
والتشبيه انتهى وهو كلام في غاية التحقيق الا ان ترك التاويل مطلقا
وتفويض العلم الى الله اسلم واما الساعد والذراع قال
القرطبي اسند البيهقي وغيره حديث وساعد الله اشد من ساعدك
وموسى الله احد من موساك وذكر البيهقي ايضا ان عروة بن الزبير
سال عبد الله بن عمرو بن العاصي اي الخلق اعظم قال الملائكة قال مما ذا
قال خلقت من نور الذراعين والصدر قال وهذا حديث موقوف على عبد
الله بن عمرو ورواية رجل غير مسمى فهو منقطع وقال ابن فورك
روى سفيان بن عيينة عن هشام بن عروة عن ابيه عن عبد الله بن عمرو قال
خلق الله تعالى الملائكة من شعر ذراعيه وصدره او من نورهما قال ابن فورك
وعبد الله لم يرفعه الى النبي صلى الله عليه وسلم قيل ان عبد الله بن عمرو
اصاب وسقين من الكتب يوم اليرموك فكانوا يقولون له اذا حدثهم

حدثنا بما سمعت من رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تحدثنا عن وسفيك
يوم اليرموك انتهى **قلت** عبد الله بن عمرو اجل من ان يحكي عنه مثل
هذا فان وقع فيه كذب فهو ممن قبله وان صح عنه مثل هذا الحديث فله حكم
المرفوع والتاويل محتمل فقد رواه اسامة ولم يقل فيه ذراعيه وصدره بل قال
من نور الذراعين والصدر مطلقا غير مضاف واذا كان كذلك لم ينكر ان يكون
ذلك صدرا او ذراعين لبعض خلقه او انهما من اسما بعض مخلوقاته فقد
وجد في النجوم ما يسمى ذراعين وحينئذ فليس بمستنكر ان يكون هذا
الاسم اسما لبعض مخلوقاته تعالى خلق منه الملايكة **واما** الساعد فانه
يطلق بمعنى القوة والتدبير لقولهم جمعت هذا المال بساعدي يعني برايه
وتدبيره وهو المراد في الحديث والمعنى امر الله انفذ من امرك وقدرته
انفذ من قدرتك وانما عبر به بالساعد للتمثيل لانه محل القوة يوضح ذلك
قوله وموساه احد من موساك يعني ان قطعه في حقه ولانه اسرع من
قطعك فعبر بالقطع بالموسى بسرعة قطعه **واما الكف والانامل
والصورة** فقد روى الترمذي عن معاذ بن جبل قال احتبس عنا رسول
الله صلى الله عليه وسلم ذات غداة عن صلاة الصبح حتى كدنا
نترايا عين الشمس فخرج سريعا فثوب بالصلاة فصلى رسول الله صلى
الله عليه وسلم فلما سلم دعا بصوته فقال لنا على مصافكم كما انتم ثم
اقبل علينا فقال اما اني ساحدثكم ما حبسني عنكم الغداة اني قمت من
الليل فتوضيت وصليت ما قدر لي فنعست في صلاتي حتى استثقلت
فاذا انا بربي تبارك وتعالى في احسن صورة فقال يا محمد قلت لبيك
ربي قال فيما يختصم الملا الاعلى قلت في الكفارات لا ادري قالها ثلاثا

قال

قال فرايته وضع كفه بين كتفي فوجدت برد انامله بين ثديي فتجلى لي كل
شي وعرفت فقال يا محمد قلت لبيك ربي قال فيم يختصم الملا الاعلى قلت في الكفارات
قال ما هن قلت مشي الاقدام الى الحسنات والجلوس في المساجد بعد الصلوات
واسباغ الوضوء على المكروهات الحديث قال الترمذي حديث حسن صحيح وقال
سالت محمد بن اسمعيل عن هذا الحديث فقال هذا حديث حسن صحيح قال
ابن فورك قوله وضع كفه بين كتفي وروي بين كنفي بالنون **واما** الكف فقيل
هو بمعنى القدرة كقوله تعالى

هون عليك فان الامور * بكف الاله مقاديرها

يريد في قدرته تقديرها وتدبيرها وقيل المراد بالكف النعمة والمنة والرحمة
واما قوله بين كتفي فالمراد به ما وصل الى قلبه من لطفه وبره وفوايده لان
القلب بين الكتفين وهو محل الانوار والعلوم والمعارف ورواية بين كنفي يراد
بقول القايل انا في كنف فلان وضيافته اراد بذلك انه في ظل نعمته ورحمته فكانه
قال افادني الرب من رحمته وانعامه بملكه وقدرته حتى علمت ما اعلمه **وقوله**
فوجدت برد انامله يحتمل ان يكون المعنى برد نعمه فان تاويل الانامل على معنى
الاصبع على ما تقدم فيكون المعنى حتى وجدت اثار عظم احسانه ونعمته ورحمته
في صدري فتجلى لي عند ذلك علم ما بين السما والارض برحمة الله وفضل نعمته
وقال القرطبي وقوله فاذا انا بربي تبارك وتعالى في احسن صورة او
رايت ربي في احسن صورة هذا رجع الى النبي صلى الله عليه وسلم اي رايته
وانا في احسن صورة وحينئذ فالمراد ان الله تعالى زين خلقته عليه السلام
وكمل صورته عند رويته لربه زيادة اكرام وتعظيم وقال بعض المحققين
ما ملخصه يجوز ان يكون قوله في احسن صورة راجعا الى محمد اي رايته وانا في احسن

صورة بمعني ان الله حسّن صورته ونقله الي هيئة يمكنه معها رويته اذ كان
البشر لا يمكنهم رويته تعالي علي صورتهم التي عليها حتي ينقلوا الي صور اخري غير
صورهم كما ان اهل الجنة ينقلهم الله عن صفاتهم الي صفات اخر اعلي واشرف
فعجل الله لنبيه هذه الكرامة في الدنيا ويجوز ان يكون راجعا الي الله بمعني انه
راي ربه علي احسن ما وعده به من انعامه واحسانه والكرامة كما نقول
للرجل كيف كانت صورة امرك الي عند لقا الملك فيقول خير صورة اعطاني
وانعم علي وادناني من محل كرامته فهذان تاويلان صحيحان جاريان علي اساليب
كلام العرب قال وقد جا في بعض الحديث انه كانت روية في المنام فاذا كان الامر
كذلك كان التاويل واضحا لانه لا ينكر روية الله تعالي في المنام كذلك انتهي
وروى احمد والبخاري ومسلم انه عليه السلام قال خلق الله ادم علي صورته
وطوله ستون ذراعا الحديث وفيه وكل من يدخل الجنة علي صورة ادم طوله
ستون ذراعا فلم تزل الخلق تنقص بعده حتي الان وفي لفظ اخر اذا قاتل
احدكم اخاه فليجتنب الوجه فان الله خلق ادم علي صورته قال
النووي هذا من احاديث الصفات ومذهب السلف انه لا يتكلم في معناها
بل يقولون يجب علينا ان نومن بها ونعتقد لها معني يليق بجلال الله تعالي
مع اعتقادنا انه ليس كمثله شي وهذا القول اختاره جماعة من المحققين محققي
المتكلمين قال وهو اسلم والثاني انها تؤول علي ما يليق علي حسب مواقعها
قال المازري وقد غلط ابن قتيبة في هذا الحديث واجراه
علي ظاهره وقال لله صورة لا كالصور قال وهذا قول المجسمة جسم لا كالاجسام
لما راوا اهل السنة يقولون الله تعالي شي لا كالاشيا والفرق ان لفظة شي لا تفيد
الحدوث ولا يتضمن ما يقتضيه واما جسم وصورة فيتضمنان التاليف

والتركيب وذلك دليل الحدوث وقال اهل التاويل ما قاله
الخطابي ان الضمير في صورته يعود علي ادم بمعني ان الله خلقه ابتدا علي صورته
التي وجده عليها ولم يردده في اطوار الخلقة كبنيه نطفة ثم علقة ثم
مضغة ثم جنينا ثم اطفالا وفي الحديث الاخر الضمير يعود علي المضروب وقال
بعض المحققين ما ملخصه يجوز عود الضمير علي ادم وعلي الله فان عاد علي ادم
فالغرض منه الرد علي الدهرية واليهود وهو من جوامع الكلم فان الدهرية
قالت ان العالم لا اول له فلا حيوان الا من حيوان اخر قبله ولا زرع الا من
بذر قبله فاعلمنا عليه السلام ان الله خلق ادم علي صورته التي شوهد عليها
ابدا وقال ايضا ان للطبيعة والنفس الكلية فعلا في المحدثات المتكونة
غير فعل الله فاعلمنا انه اوجده كذلك دون مشاركة من طبيعة او نفس واليهود
قالت ان ادم في الذنب كان علي خلاف صورته في الجنة فلما خرج منها نقص قامته
وغير خلقته فاعلمنا بكذبهم وانه خلق في اول امره علي صورته التي كان عليها عند
هبوطه وان عاد الضمير علي الله فاضافة صورة ادم اليه علي وجه التشريف
والتخصيص لا علي ما يسبق للوهم من معاني الاضافة كقولهم الكعبة بيت الله
وانما خصصه بالاضافة الي الله دون غيره لان الله خلقه دفعة واحدة من
غير ذكر وانثي وهو ابو البشر ولا ضمنته الارحام وخلقه بيده واسجد له ملائكته
وهو ابو البشر فنبهنا عليه السلام باضافة صورته الي الله علي ذلك وهو
نظير قوله تعالي ونفخت فيه من روحي وقوله ولا اعلم ما في نفسك وقوله
لما خلقت بيدي فكما لا تدل هذه الاضافة علي ان له نفسا وروحا ويدين
فكذلك اضافة الصورة اليه تعالي لا تدل علي ان له صورة قال وايضا
فالعرب تستعمل الصورة علي وجهين احدهما الصورة التي هي شكل مخطط

محدود بالجهات والثاني بمعنى صفة الشي كقولهم ما صورة امرك فكيف كانت
صورة نفسك ولهذا هو المراد هنا فان الله جعله خليفة في ارضه يعلم ويأمر
وينهي ويسوس ويدبر ويسخر له ما في السموات وما في الارض انتهى **واعترض**
بعضهم هذه الاجوبة وقال الواجب ان تمر الاحاديث كما جات بلا تاويل ولا
تكييف فان الضمير اذا كان عايدا على ادم لا فايدة فيه اذ ليس يشك احد
ان الله خالق الانسان على صورته والسباع والانعام على صورها فاي فايدة
في الحمل على ذلك ولا جايز ان يقال عايد على المضروب اذ لا فايدة فيه لان الخلق
عالمون بان ادم خلق على خلق ولده ووجهه على وجوههم **قلت**
وفي هذا الاعتراض نظر فانه لا يرد بعد ابراز ما تقدم من النكات والحكم **نعم**
مما يقوي الاعتراض قوله عليه السلام في حديث اخر لا تقبحوا الوجه فان ابن
ادم خلق على صورة الرحمن وقول المازري في هذا الحديث انه ليس بثابت
عند اهل الحديث فيه ما فيه فقد رواه ابن ابي شيبة عن جرير عن الاعمش عن
حبيب ابن ابي ثابت عن عطا ابن ابي رباح عن ابن عمر عن النبي صلى الله عليه
وسلم وهذا غاية ما قال البيهقي يحتمل ان يكون لفظ هذا الحديث كما في الحديث
الاخر فاداه بعض الرواة على ما وقع في قلبه من معناه والله اعلم **ثم**
رايت الحافظ ابن حجر قال وقد انكر المازري ومن تبعه صحة هذه الرواية
وقد اخرجها ابن ابي عاصم في السنة والطبراني من حديث ابن عمر باسناد
رجاله ثقات واخرجها ابن ابي عاصم ايضا من طريق ابي هريرة بلفظ
يرد التاويل الاول قال من قاتل فليجتنب الوجه فان صورة وجه الانسان
على صورة وجه الرحمن قال فتعين اجراء ذلك على ما تقرر بين اهل السنة
من امراره كما جا من غير اعتقاد تشبيه قال وزعم بعضهم ان الضمير يعود

على

على ادم اي على صفته اي خلقه موصوفا بالعلم على فضل به على الحيوان قال
وهذا محتمل وقيل الضمير لله وتمسك قايله بما في بعض طرقه على صورة الرحمن
فالمراد بالصورة الصفة اي ان الله خلقه على صفته من العلم والحياة والسمع
والبصر وغير ذلك وان كانت صفات الله لا يشبهها شي انتهى **قلت**
لكن التعليل باتقاء الوجه يرد جميع التاويل ولم يبق الا التفويض على مذهب
من سلف من ايمة السلف **وروى** ابن عباس ان موسى عليه السلام ضرب
الحجر لبني اسرايل فتفجر فقال اشربوا يا حمير فاوحى الله اليه عمدت الى خلق من
خلقي على صورتي فشبهتهم بالحمير فما برح حتى عوتب قال القرطبي ذكره
القتيبي في مختلف الحديث وقال القتيبي والذي عندي والله اعلم
ان الصورة ليست باعجب من اليدين واليمين والعين وانما وقعت الالفة
لتلك لمجيئها في القران ووقعت الوحشة من هذه لانها لم تات في القران
ونحن نومن بالجميع ولا نقول في شي منه بكيفية ولا حد انتهى **وفي** البخاري
ومسلم حديث هل نرى ربنا يوم القيمة وفيه فياتيهم الله في صورة غير صورته
التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون نعوذ بالله منك هذا مكاننا حتى
ياتينا ربنا فاذا اتانا ربنا عرفناه فياتيهم الله في الصورة وفي لفظ اخر
في صورته التي يعرفون فيقول انا ربكم فيقولون انت ربنا فيتبعونه الحديث
وقال بعض اهل التاويل الاتي بمعنى الباكما في قوله تعالى هل
ينظرون الا ان ياتيهم الله في ظلل من الغمام اي بظلل فيكون بمعنى الاتيان
هنا انه يحضر لهم تلك الصورة ويذكر انه ملك عظيم يقول لهم بامر الله انا ربكم
واما الصورة الثانية فهي صفته تعالى انه لا يشاركه فيها شي وهو الوصف الذي
كانوا عرفوه في الدنيا بقوله ليس كمثله شي ولذلك قالوا اذا جانا ربنا عرفناه قال

القرطبي ولا يستبعد اطلاق الصورة بمعنى الصفة فى المتداول ان يقال صورة هذا
الامر كذا اي صفته وقيل الكلام خرج مخرج المشاكلة للفظ الصورة الاول والله اعلم
ومذهب السلف اسلم **ومن المتشابه الساق** في قوله تعالى يوم يكشف عن
ساق ويدعون الى السجود وقوله عليه السلام في حديث البخاري ومسلم قالوا يا رسول
الله هل نرى ربنا يوم القيامة وفيه فيقول هل بينكم وبينه اية تعرفونه بها
فيقولون نعم فيكشف عن ساق فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقا نفسه الا اذن
الله له بالسجود ولا يبقى من كان يسجد اتقا ورئا الا جعل الله ظهره طبقة
واحدة كلما اراد ان يسجد خر على قفاه الحديث **وفي** بعض طرق البخاري
يكشف ربنا عن ساقه قال الخطابي هذا الحديث مما تهيب القول فيه شيوخنا
فاجروه على ظاهر لفظه ولم يكشفوا عن باطن معناه على نحو مذهبهم في التوقيف
عند تفسير كل ما لا يحيط العلم بكنهه من هذا الباب وقال اهل التاويل
هذا يؤول على معنى شدة الامر وهوله قال الجوهري وغيره في قوله تعالى
يوم يكشف عن ساق اي عن شدة كما يقال قامت الحرب على ساق **وروى** الحاكم
في المستدرك من طريق عكرمة عن ابن عباس انه سيل عن قوله تعالى يوم يكشف
عن ساق فقال اذا خفي عليكم شي من القران فاتبعوه من الشعر فانه ديوان العرب اما
سمعتم قول الشاعر ⁕ قد سن لي قومك ضرب الاعناق   وقامت الحرب بنا على ساق
قال ابن عباس هذا يوم كرب وشدة **وعن** علي بن ابي طلحة عن ابن عباس في قوله
تعالى يوم يكشف عن ساق قال هو الامر الشديد المفظع من الهول يوم القيامة
وقال بعض الاعراب وكان يطرد الطير عن الزرع في سنة جدبة
عجبت نفسي ومن اشفاقها   ومن طراد الطير عن ارزاقها في سنة قد كشفت
عن ساقها **وفي** البيضاوي يوم يكشف عن ساق اي يوم يشتد الامر ويصعب

الخطب وكشف الساق مثل في ذلك او يوم يكشف عن اصل الامر وحقيقته بحيث
يصير عيانا مستعار من ساق الشجر وساق الانسان **وفي** القاموس والتفت
الساق بالساق اخر شدة الدنيا باول شدة الاخرة يذكرون الساق اذا
ارادوا شدة الامر والاخبار عن هوله انتهى وقال بعضهم لا ينكر ان الله سبحانه
قد يكشف لهم عن ساق لبعض المخلوقين من ملائكته او غيرهم ويجعل ذلك سببا
لبيان ما شا من حكمته في اهل الايمان والنفاق قال الخطابي وفيه وجه
اخر لم اسمعه من قدوة وقد يحتمله معنى اللغة سمعت ابا عمر يذكر عن احمد بن يحيى
النحوي قال ولست اقطع به والساق النفس ومنه قول علي رضي الله عنه حين
راجعه اصحابه في قتال الخوارج والله لاقاتلنهم ولو تلفت ساقي يريد نفسه قال
الخطابي فقد يحتمل على هذا ان يكون المراد التجلي لهم وكشف الحجب حتى اذا راوه
سجدوا له قال ولست اقطع به ولا اراه واجبا فيما اذهب اليه من ذلك قال
القرطبي هذا اصح ما قيل في ذلك وقد ورد بمعناه حديث ذكرناه في كتابنا
التذكرة انتهى **وجا** من حيث روح ابن جناح موقوعا في قوله تعالى يوم
يكشف عن ساق قال عن نور عظيم له يسجدوا لكن قال البيهقي روح بن جناح
ياتي باحاديث منكرة لا يتابع عليها والله تعالى اعلم **واما الرجل
والقدم** ففي صحيح البخاري ومسلم والترمذي عن انس بن مالك رضي الله
عنه ان نبي الله صلى الله عليه وسلم قال لا تزال جهنم تقول هل من مزيد حتى
يضع رب العزة فيها قدمه فتقول قط قط وعزتك وتزوي بعضها الى بعض
وفي البخاري فيضع الرب قدمه عليها فتقول قط قط فهنالك تمتلي
وتزوي بعضها الى بعض **وفي** بعض الطرق حتى يضع الجبار فيها قدمه
وفي مسلم فلا تزال في الجنة فضل حتى ينشي الله لها خلقا فيسكنهم فضل الجنة

قال الترمذي وقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم روايات كثيرة في مثل
هذا والمذهب في هذا عند اهل العلم من الايمة مثل سفيان الثوري ومالك بن انس
وسفيان بن عيينة وابن المبارك ووكيع وغيرهم انهم قالوا نروي هذه الاحاديث
ونومن بها ولا يقال كيف وهذا الذي اختاره اهل الحديث ان يرووا هذه
الاشيا كيف جات ويومن بها ولا تفسر ولا يتوهم ولا يقال كيف قال وهذا
امر اهل العلم الذي اختاروه وذهبوا اليه وقال الخطابي كان ابو
عبيد بن عبد السلام وهو احد ائمة اهل العلم يقول نحن نروي هذه الاحاديث
ولا نريغ لها المعاني قال الخطابي ونحن احرى ان لا نتقدم فيما تاخر عنه
من هو اكثر منا علما واقدم زمانا وسنا ولكن الزمان الذي نحن فيه قد صار
اهله حزبين لما يروى من هذه الاحاديث ومكذب به اصلا وفي ذلك تكذيب
العلما الذين رووا هذه الاحاديث وهم ايمة الدين ونقلة السنن والواسطة
بيننا وبين رسول الله صلى الله عليه وسلم والطايفة الاخرى مسلمة للرواة فيها
ذاهبة في تحقيق الظاهر منها مذهبا يكاد يفضي الى القول بالتشبيه ونحن
نرغب عن الامرين معا ولا نرضى بواحد منهما فيحق علينا ان نطلب لما
يرد من هذه الاحاديث اذا صحت من طريق النقل والسند تاويلا فقال
اهل التاويل القدم ههنا يحتمل ان يكون المراد به من قدمهم الله للنار من
اهلها وكل شي قدمته فهو قدم والعرب تطلق القدم على السابقة في الامر
قال النضر بن شميل في معنى قوله حتى يضع الجبار فيها قدمه اي من
سبق في علمه انه من اهل النار قال الخطابي وقد تاول بعضهم الرجل على نحو هذا
قال والمراد به عدد استبقا الجماعة الذين استوجبوا دخول النار والعرب تسمي
جماعة الجراد رجلا كما سموا جماعة الظبا سربا واستعير ذلك لجماعة الناس وقال

القرطبي وقيل ان هولا قوم تاخر دخولهم في النار وهم جماعات لان اهلها
يلقون فيها فوجا فوجا كما قال تعالى كلما القي فيها فوج سالهم خزنتها فالخزنة
تنتظر اوليك المتاخرين اذ قد علموهم باسمايهم واوصافهم فاذا استوفي
كل واحد منهم ما امر به ولم يبق احد قالت الخزنة قط قط اي حسبنا حسبنا
اي اكتفينا اكتفينا وحينيذ تنزوي جهنم على من فيها وتنطبق اذ لم
يبق احد ينتظر فعبر عن ذلك الجمع المنتظر بالرجل والقدم لا ان الله
تعالى جسم من الاجسام تعالى الله عن ذلك وقال بعضهم
القدم خلق من خلق الله تعالى يخلقه يوم القيامة فيسميه قدما ويضعه
في النار فتمتلي منه وقال بعضهم المراد بالقدم هنا قدم بعض خلقه وقال
ابن فورك قال بعضهم القدم خلق من خلق الله يخلقه يوم القيامة
فيسميه قدما ويضيفه اليه من طريق الفعل يضعه في النار فتمتلي منه
واما الرجل فالعرب تسمي جماعة الجراد رجلا كما سموا جماعة الظبا سربا
وجماعة الحمير عانة ويستعمل في جماعة الناس على سبيل التشبيه قال
ترى الناس افواجا الى باب داره كانهم رجلا دبا وجراد
الدبا الجراد قبل ان يطير واما الجبار هنا فقال بعضهم يحتمل ان يكون
اريد به الموصوف بالتجبر من الخلق كقوله تعالى وخاب كل جبار عنيد وقال
بعضهم الجبار هنا ابليس وشيعته فانه اول من استكبر والتكبر والتجبر
بمعنى واحد وقال ابن التلمساني في قوله عليه السلام حتى يضع
الجبار فيها قدمه ان الجبار ليس من الاسما الخاصة بالله تعالى والمراد به جبار
يعلم الله عتوه واستكباره كابليس واتباعه مثلا والنمرود وجنوده وقد
قال عليه السلام اهل النار كل متكبر جبار انتهى قلت وربما يرد هذا

التاويل حديث حتى يضع الله رجله وحديث فيضع الرب قدمه فيكون
تعالى هو المراد بالجبار في الحديث الاخر لكن الخلف خصوصا المتكلمين تجد
عندهم التاويل في مثل هذا بالمجازفة ولا يراعون الفاظ الحديث
اما لعدم معرفة الفاظ الحديث وطرقه كلها او لمسارعتهم للجواب بلا تامل
ولا ريب ان السلف قد تصوروا في نفوسهم مثل هذه الاجوبة فراوها
متناقضة منها فتنة فسكتوا عنها ولم ينفوها بها لعلمهم بفساد هذه
وفوضوا العلم فيها الى الله تعالى مع انهم اكثر علما منا بيقين وقال
الخطابي رحمه الله تعالى ويجوز ان تكون هذه الاسما امثالا لا يراد بها اثبات
معان لاحظ لظاهر اللفظ فيها من طريق الحقيقة وانما اريد بوضع الرجل
عليها نوع من الزجر لها وتسكين غيظها كما يقول القايل للشي يريد محوه
وابطاله جعلته تحت رجلي ووضعته تحت قدمي وخطب عليه السلام
عام الفتح فقال الا ان كل دم وماثرة في الجاهلية فهو تحت قدمي هاتين
يريد محو تلك الماثر وابطالها وما اكثر ما تضرب العرب الامثال في كلامها
بالاعضا وهي لا تريد اعيانها كقولهم بيمن تكلم وندم قد سقط في يده اي ندم
ورغم انف الرجل اذا ذل وعلا كعبه اذا اجل وشمخ انفه اذا تكبر وجعلت
كلام فلان دبر اذني وحاجته خلف ظهري ونحو ذلك من الفاظهم
ومن المتشابه الجنب والحقو في قوله تعالى على ما فرطت في جنب
الله وقوله عليه السلام في حديث البيهقي ان الله تعالى خلق الخلق حتى اذا
فرغ منهم قامت الرحم فاخذت بحقوي الرحمن فقال مه فقالت هذا مقام
العايذ بك من القطيعة قال نعم اما ترضين ان اصل من وصلك واقطع
من قطعك قالت بلى يا رب قال فذلك لك والحديث ايضا في البخاري ومسلم

والكسائي

والكسائي لكن ليس فيه فاخذت بحقو الرحمن والحقو ما تحت الخاصرة ويطلق
على الازار قال اهل التاويل كما في تفسير البيضاوي في جنب الله
في ذكر الله جانبه اي في حقه وهو طاعته انتهى لان التفريط انما يقع في
ذلك لا في الجنب المعهود وقال الضحاك في جنب الله في ذكر الله
كما قربه وقال مجاهد المعنى على ما ضيعت من امر الله والمعنى
في الجميع متقارب وعن القرافي جنب الله في قربه وجواره قال
والجنب معظم الشي واكثره ومنه قولهم هذا قليل في جنب مودتك
ويقال ما فعلت ذلك في جنب حاجتي قال كثير

الا تتقين الله في جنب عاشق   له كبد حرى عليك تقطع

اي في حاجته او حقه ونسب البيضاوي هذا البيت لسابق البربري
واما الحقو فقال الخطابي الكلام في الصفات ثلاثة اقسام
قسم تحقق كالعلم والقدرة ونحوهما من غير تاويل كاليد والوجه ونحو ذلك
فانها صفات لا كيفية لها فلا يقال معنى اليد النعمة والقوة ولا معنى
الوجه الذات على ما ذهب اليه نفاة الصفات وقسم يؤول ولا يجري
على ظاهره كقوله عليه السلام اخبارا عن الله تعالى من تقرب الي شبرا
تقربت اليه ذراعا الحديث لا اعلم احدا من العلما اجراه على ظاهره بل
كل منهم تاوله على القبول من الله لعبده وحسن الاقبال عليه والرضا
بفعله ومضاعفة الجزا له على صنعه وذكر حديث لما خلق الله الرحم
تعلقت بحقوي الرحمن قال لا اعلم احدا من العلما حمل الحقو على ظاهر
مقتضاه في اللغة وانما معناه اللياذ والاعتصام تمثيلا له بفعل من
اعتصم بحبل ذي عزة واستجار بذي ملكة وقدرة قال البيهقي ومعناه

عند اهل النظر انما استجارة واعتصمت بالله كما تقول العرب تعلقت بظل جناحه
اي اعتصمت به وقال بعضهم قوله فاخذت بحقوي الرحمن معناه
فاستجرت بكنفي رحمته والاصل في الحقو معقد الازار ولما كان من شان المستجير
ان يتمسك بحقوي المستجار به وهما جانباه الايمن والايسر استعير الاخذ
بالحقو في اللياذ بالشي تقول العرب عذت بحقو فلان اي استجرت به
واعتصمت وقيل الحقو الازار والازارة سبحانه بعزه بمعنى انه موصوف بالعز
فلاذت الرحم بعزه من القطيعة وعاذت به **قلت** ومما اتفقوا على
تاويله خلافا للمتصوفة قوله تعالى وهو معكم اينما كنتم ونحو مما مر فان المعية
محمولة على معية العلم والاحاطة والمشاهدة كما قال الله تعالى لموسى وهارون انني
معكما اسمع وارى **وكذا** قوله عليه السلام الحجر الاسود يمين الله في ارضه اي محل
عهده الذي اخذ به الميثاق على بني ادم **وكذا** قوله عليه السلام حكاية عن الله عبدي
مرضت فلم تعدني فيقول رب كيف اعودك وانت رب العلمين فيقول اما علمت ان عبدي
فلانا مرض فلو عدته لوجدتني عنده عبدي جعت فلم تطعمني فيقول رب كيف اطعمك
وانت رب العالمين فيقول اما علمت ان عبدي فلانا جاع فلو اطعمته لوجدت ذلك عندي
قال ابن تيمية رحمه الله فتفسير هذا الحديث انه تعالى انما اراد بذلك
مرض وجوع عبده ومحبوبه لقوله تعالى لوجدت ذلك عندي ولم يقل لوجدتني
اياه لان المحب والمحبوب كالشي الواحد من حيث يرضى احدهما ويبغض ما يرضاه
الاخر او يبغضه ولهذا قال ان الذين يبايعونك انما يبايعون الله قال الزمخشري
ولهذا اكده تاكيدا على طريق التخييل فقال يد الله فوق ايديهم يريد ان يد رسول
الله صلى الله عليه وسلم التي تعلو يد المبايعين هي يد الله والله تعالى منزه عن
الجوارح وعن صفات الاجرام وانما المعنى تقرير ان عقد الميثاق مع رسول الله صلى

الله عليه وسلم كعقده مع رسول الله صلى الله عليه وسلم الله تعالى من غير تفاوت بينهما
كقوله تعالى من يطع الله فقد اطاع الله انتهى قال ابن تيمية وكما في الصحيح
ولا يزال عبدي يتقرب الي بالنوافل حتى احبه فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به
الحديث فاخبر سبحانه بمحبة العبد على هذا الوجه قال وقد غلط من زعم ان هذا
قرب النوافل وان قرب الفرايض ان يكون هو اياه تعالى الله عن ذلك وعن قول
القايلين ان عين وجود المخلوق هو عين وجود الخالق تعالى الله عن ذلك **ومن
المتشابه النفس** من قوله تعالى كتب ربكم على نفسه الرحمة وقوله
واصطنعتك لنفسي وقوله ويحذركم الله نفسه وقوله عليه السلام عن الله فان
ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي قال اهل التاويل كما ذكره البيهقي النفس
في كلام العرب على وجوه نفس متفرقة مجسمة مروحة ومنها مجسمة غير مروحة
تعالى الله عن هذين ونفس بمعنى اثبات الذات وعليه فيقال في الله سبحانه
انه نفس لا ان له نفسا منفوسة او جسما مروحا وقد قيل في قوله تعالى تعلم ما في
نفسي ولا اعلم ما في نفسك تعلم ما اخفيته في نفسك ولا اعلم ما تخفيه من معلوماتك
وقوله في نفسك للمشاكلة والمشاكلة وان ساغت هنا لا تسوغ في غيره **ومثله**
فان ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي اي حيث لا يعلم به احد ولا يطلع عليه
قال الزجاج في قوله ويحذركم الله نفسه اي ويحذركم الله اياه وقال
السهيلي النفس عبارة عن حقيقة الوجود دون معنى زايد وقد استعمل من
لفظها النفاسة والشي النفيس فصلحت للتعبير عنه تعالى وقال
ابن اللبان اولها العلما بتاويلات منها ان النفس عبر بها عن الذات قال وهذا
وان كان سايغا في اللغة لكن تعدي الفعل اليها بفي المفيدة للظرفية محال قال
القاضي ابو بكر ابن العربي في قوله عليه السلام اني لاجد نفس ربكم من قبل

الرسول صح

اليمن اي تنفيسة الكرب بالانصار ومعاضدتهم له او بفتح مكة **تنبيه**
قد ظهر بما مر ان النفس تطلق على الله ويراد بها الذات واما الشخص ففي
حديث البخاري ومسلم لا شخص اغير من الله ولا شخص احب اليه العذر من الله
ومن اجل ذلك بعث المرسلين مبشرين ومنذرين ولا شخص احب اليه المدحة
من الله ومن اجل ذلك وعد الله الجنة قال البيهقي قال ابو سليمان
الخطابي رحمه الله اطلاق الشخص في صفة الله غير جايز لان الشخص لا يكون الا جسما
مولفا وخليق ان لا تكون هذه اللفظة صحيحة وان تكون تصحيفا من الراوي
قال وليس كل الرواة يراعون لفظ الحديث حتى لا يتعدوه بل كثير منهم يحدث على المعنى
وليس كلهم بفقيه كقول بعض السلف في كلام له نعم المرء ربنا لو اطعناه ما عصانا
فقايل هذه الكلمة لم يقصد بها المعنى الذي لا يليق بصفات الله فان لفظ المرء
للذكر الادمي ولكنه ارسل الكلام على بديهة الطبع من غير تامل للمعنى فلفظ الشخص
انما جرى من الراوي على هذا السبيل ان لم يكن غلطا من قبل التصحيف قال
البيهقي لو ثبتت هذه اللفظة لم يكن فيها ما يوجب الغيرة لله والمبالغة فيه
وان احدا من الاشخاص لا يبلغ ذلك وقال القرطبي بما ذكره عن
الخطابي رحمه الله ورضي عنه من ان هذا اللفظ لم يصح يودي الى عدم الثقة في
النقلة بما نقلوه من ذلك وهذا ليس بشي بل النقل صحيح ويدخله التاويل
فقد قيل معناه لا مرتفع لان الشخص ما تشخص وارتفع وقال
القاضي ابو بكر بن العربي قال بعضهم اذا كان الله غيورا او نبيه كذلك
وهذا مما يجب اعتقاده فكيف جا اليه رجل فقال يا رسول الله ان امراتي لا ترد يد
لامس فقال له طلقها فقال اني احبها فقال استمتع بها **واجيب** بانه عليه
السلام خشي على عقله او ان المراد باللامس السايل فهو كناية عن جودها او يعني

استمتع

٤٦

استمتع بها اي خذ منها ما يا خذ النسا من الرجال الا الجماع ورد ابن العربي
هذه الاجوبة كلها لبعدها وجعل الجواب السديد ان هذا الحديث لم يثبت
ومن المتشابه الروح في قوله تعالى ويسيلونك عن الروح وقوله
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي وقوله فنفخنا فيها فيه من روحنا وقوله
وروح منه قال الامام الفخر المختار انهم سالوه عن الروح الذي هو سبب
الحياة وان الجواب وقع على احسن الوجوه وبيانه ان السوال عن الروح يحتمل
ان يكون عن الماهية وهل هي متغيرة ام لا وهل هي حالة في متحيز ام لا وهل هي
قديمة وحادثة وهل تبقى بعد انفصالها من الجسد او تفنى وما حقيقة
تعذيبها وتنعيمها وغير ذلك الا ان الاظهر انهم سالوه عن الماهية وهل الروح
قديمة او حادثة وقال ابو حيان والظاهر انهم سالوه عن ماهيتها
وحقيقتها وقيل عن كيفية مدخلها الجسد الحيواني وانبعاثها فيه
وصورة ملابستها له وكلاهما مشكل لا يعلمه الا الله تعالى انتهى **وقوله**
تعالى قل الروح من امر ربي اي من خلق ربي او من فعل ربي اذ الامر بمعنى الفعل
وارد قال سبحانه وما امر فرعون برشيد اي فعله والجواب وقع من قبيل
صرف الاهم اي ان عقولكم لا تدرك هذا فان له مقدمات طبيعية تدق
عن الافهام وتقصر دونها الاوهام لكن الاهم ان تعلموا ان الروح من عالم الامر
لا الخلق وقال بعض العلما المتصوف ان عالم الامر هو العالم المعنوي الذي
لا يقع تحت الحواس كعالم المعقولات المجردة التي لا تقع تحت مادة **واعلم**
ان الروح لم يقف احد منها على حقيقة ماهية ومعرفة كيفية حتى قال الجنيد
قدس الله سره الروح مما استاثر الله بعلمه ولم يطلع عليه احدا من خلقه
فلا يجوز لعباده البحث عنه باكثر من انه موجود وقال بعضهم ويعني

هذا ابن عباس واكثر السلف وقد ثبت عن ابن عباس انه كان لا يفسر الروح ونقل
ابو القاسم السعدي في الافصاح ان اماثل الفلاسفة توقفوا عن الكلام فيها وقالوا
هذا امر غير محسوس لنا ولا سبيل للعقول اليه قال ابو حيان وقد رايت
كتابا يترجم بالنفخ والتسوية لبعض الفقها المتصوفة يذكر فيه ان الجواب في قوله
قل الروح من امر ربي انما هو للعوام واما الخواص عنده فهم يعرفون الروح قال
ابو حيان واجمع علما الاسلام على ان الروح مخلوقة وذهب كثرة الفلاسفة وكثير
ممن ينتمي الى الاسلام انها قديمة قال واختلاف الناس في الروح بلغ الى سبعين قولا انتهى
وقد رايت في شرح الزبد للشيخ الرملي ان الاقوال في الروح تزيد على الف قول
وقد افردت الكلام على الروح في مولف سميته ارواح الاشباح في الكلام على الارواح
وامـا قوله تعالى ونفخت فيه من روحي فقال اهل السنة وقيل كما في
النهر لابي حيان اي خلقت الحياة فيه اذ لا نفخ هناك ولا منفوخ حقيقة وانما
هو تمثيل لتحصيل ما يحيى به فيه واضافة الروح اليه تعالى على سبيل الملك اذ هو
المتصرف التشريف نحو بيت الله وناقة الله او على سبيل الملك اذ هو المتصرف
في الامثال للروح والمودعها حيث يشا وقال بعضهم كما في البيضاوي
واصل النفخ اجرا الروح في تجويف جسم اخر ولما كان الروح يتعلق اولا بالبخار اللطيف
المنبعث من القلب ويفيض عليه القوة الحيوانية فيسري حاملها في تجويف
الشرايين الى اعماق البدن جعل تعلقه بالبدن نفخا واضافته الى نفسه
سبحانه لشرفه وطهارته لانه من الطف المخلوقات واعجب المصنوعات وقال
القرطبي قال العلما الروح الذي نفخ في ادم عليه السلام كان خلقا من خلق الله تعالى
جعل الله تعالى حياة الاجساد به وانما اضافه الى نفسه على طريق الخلق والملك
لانه جزء منه وهو كقوله تعالى وسخر لكم ما في السموات وما في الارض جميعا منه

اي من خلقه والحاصل ان قوله ونفخت فيه من روحي متردد بين البعضية وهو باطل
فننفيه وبين اضافة التشريف والتعظيم وهو حق فنعينه فتامل والله اعلم
واما قوله تعالى فنفخنا فيها من روحنا فقال الزمخشري بعد ان استشكل
معناه نفخنا الروح في عيسى فيها اي احييناه في جوفها ونحو ذلك ان يقول
الزمار نفخت في بيت فلان اي نفخت في المزمار في بيته انتهى وقال
ابو حيان لا اشكال في ذلك لانه على حذف مضاف اي فنفخنا في ابنها من روحنا
قال وقوله نفخنا الروح في عيسى فيها استعمل نفخ متعديا والمحفوظ ان
لا يتعدى فيحتاج في تعديه الى سماع واضاف الروح اليه تعالى على جهة
التشريف اي نفخنا فيها او في فرجها من روح خلقنا بلا توسط اصل
وقال القرطبي وغيره وقوله فنفخنا فيه يريد درع مريم عليها السلام
نفخ في جيب درعها فوصل النفخ اليها وقال ابن مسعود وابن عباس
خرجت وعليها جلبابها فاخذ بكمها فنفخ في جيب درعها وكان مشقوقا من
قدامها فدخلت النفخة في صدرها فحملت قال ويقال للمسيح روح الله
لانه كان بنفخة جبريل في درع مريم ونسب الروح اليه تعالى لانه بامره
وامـا قوله تعالى لعيسى اذ ايدتك بروح القدس اي بالروح المقدسة
وهو جبريل سمي بذلك لان جسمه روحاني وياتي بما فيه روح القلوب وحياتها
واضيف للقدس وهو الطهارة لانه يعتري دينا وقيل هو الروح الذي به
حياة البدن وخص روحه عليه السلام بوصفه بالقدس لانه لم تضمه الاصلاب
ولا الارحام الطوامث لان امه لم تحض صلى الله عليه وعليها ومن المتشابه
النور في قوله تعالى الله نور السموات والارض قال اهل السنة وقيل النور هو الضو
المدرك بالبصر فاسناده الى الله مجاز كما تقول زيد عدل واسناده باعتبار من

اما على انه بمعنى اسم الفاعل اي منور كما قرئ به او على الحذف اي ذو نور ويؤيده
قوله مثل نوره واضافته للسموات والارض للدلالة على سعة اشراقه او لاشتمالها
على الانوار الحسية والعقلية وقصور الادراكات البشرية عليهما وقال
القرطبي فيه ستة اقوال اما انه بمعنى منور او ذو النور او هادي او مزين
او ظاهر او انه تعالى نور لا كالانوار قاله الشيخ ابو الحسن قال وقالت المعتزلة
لا يقال انه نور الا بالاضافة قال والصحيح عندنا انه نور لا كالانوار وقال
القرطبي وقول الاشعري بانه نور ليس كالانوار لا يصح ان يريد انه جسم
نوراني ليس كالاجسام النورانية لمعرفتنا بمذهبه وتنزيهه الله تعالى بل
باعتبار انه من نوره تستمد جميع الانوار كما سمي العلم نورا والقران نورا لاشراق
القلوب به وسمي النبي نورا لانه منير في ذاته ويستنير به غيره والمنير في
ذاته بنوره الذاتي والمنير غيره بنوره الفعلي هو الله وحده وقال
بعضهم ان العرب تسمي كل ما جلا الشبهات وازال الالتباس واوضح الحق
نورا قال تعالى انزلنا اليكم نورا يعني القران وعلى هذا المعنى سمي نبيه سراجا
منيرا قال الخطابي ولا يجوز ان يتوهم ان الله تعالى نور من الانوار فان
النور يضاد الظلمة وتعاقبه فتزيله وتعالى الله عن ان يكون له ضد . وفي
وفي صحيح مسلم عن ابي ذر رضي الله عنه قال سالت رسول الله صلى الله عليه وسلم هل
رايت ربك قال نور انى اراه وصحفه بعضهم فقال نوراني والمعنى غلبني نور و
غشيني نور كيف اراه فاني استفهام على جهة الاستبعاد لغلبة النور على
بصره كنور الشمس فانه يعشي البصر ويحيره اذا نظر اليه قال القرطبي
ولا يعارضه الرواية الاخرى رايت نورا فانه عند وقوع بصره على النور راه ثم
غلب عليه بعد فضعف عنه بصره كالرائي عين الشمس عند كثرة شعاعها

قال

٤٧

مطلب الرؤيا

قال هكذا قال علماؤنا تنبيه اختلف العلما هل راى محمد صلى الله
عليه وسلم ربه بعيني راسه او بعين قلبه فمذهب ابن عباس وطايفة انه راه بعيني
راسه والى هذا ذهب ابو الحسن الاشعري ومن وافقه ومذهب عايشة
انه لم يره بعيني راسه لحديث مسلم السابق وعلى هذا طايفة من العلما ورجح هذا
القول شيخ الاسلام ابن تيمية وقال قد تدبرنا عامة ما صنفه المسلمون
في هذه المسيلة وما تلقوه فيها قريبا من مائة مصنف فلم اجد احدا يروي باسناد
ثابت ولا صحيح ولا عن صاحب ولا عن امام انه راه بعيني راسه قال
فالواجب اتباع ما كان عليه السلف والايمة وهو اثبات مطلق الروية او روية
مقيدة بالفؤاد وقال لم يثبت عن الامام احمد التصريح بانه عليه السلام راى
ربه بعيني راسه لكن حكى النقاش عن احمد بن حنبل انه قال انا اقول بحديث
ابن عباس بعينه راه راه حتى انقطع نفسه لكن ابن تيمية اعلم بنقول
احمد وغيره من النقاش واحمد اجل من ان يكون عنده من عدم السكينة ما يتكلم
بمثل هذا حتى ينقطع نفسه انما هي حكايات المجازفين في النقول عن الفحول
الايمة فتامل وصاحب البيت ادرى وكم للناس من مجازفات في المنقول
والمعقول والمرجع في ذلك انما هو لاقوال المحققين والعلما الراسخين والايمة
الربانيين ومن المتشابه المجي في قوله تعالى وجا ربك والملك صفا
صفا وقوله هل ينظرون الا ان ياتيهم الله فمذهب السلف في هذا وامثاله
السكوت عن الخوض في معناه وتفويض علمه الى الله تعالى كما مرت الاشارة اليه
اول الكتاب ومذهب اهل التاويل قالوا الا ان ياتيهم الله اي امره
وباسه وجعل ذلك مجيا له تعالى على سبيل التفخيم والتهويل لان الاتيان
حقيقة هو الانتقال من حيز الى حيز وذلك مستحيل عليه تعالى عند الجمهور

او المراد الا ان يأتيهم الله بأمره وبأسه فحذف المأتي به لدلالة الحال عليه
ايهاما عليهم لانه ابلغ في الوعيد لانقسام خواطرهم وذهاب فكرهم في
كل وجه او المأتي به مذكور وهو قوله في ظلل من الغمام اي الباء وقيل المراد
بذلك غاية الهيبة ونهاية الفزع لشدة ما يكون يوم القيامة والالتفات
الى الغيبة بعد قوله فاعلموا للايذان بان سوء صنيعهم يوجب الاعراض
عنهم وترك الخطاب معهم وايراد الانتظار للاشعار بانهم لانهماكهم فيما هم
فيه من موجبات العقوبة كانهم طالبون لها مترقبون لوقوعها وقال
سلمة ابن القاسم في كتاب غرايب الاصول حديث تجلي الله يوم القيامة
ومجيئه في الظلل محمول على انه تعالى يغير ابصار خلقه حتى يروه كذلك وهو على
عرشه غير متغير عن عظمته ولا منتقل عن ملكه كذلك جاء معناه عن
عبد العزيز الماجشون قال فكل حديث جاء في التنقل والرؤية في المحشر فمعناه
ان الله تعالى يغير ابصار خلقه فيرونه نازلا ومتجليا ويناجي خلقه ويخاطبهم وهو
غير متغير عن عظمته ولا منتقل عن ملكه انتهى وهو تأويل حسن يطرد
في كثير من المواضع **ومن المتشابه النزول** في حديث احمد والترمذي
وابن ماجة عن عائشة رضي الله عنها عن النبي صلى الله عليه وسلم ان الله
ينزل ليلة النصف من شعبان الى سماء الدنيا فيغفر لاكثر من عدد شعر غنم بني
كلب وحديث احمد ومسلم عن ابي سعيد وابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى يمهل حتى اذا كان ثلث الليل الاخير نزل الى سماء الدنيا فينادي
هل من مستغفر هل من تايب هل من سايل هل من داع حتى ينفجر الفجر **ورواية**
البخاري ينزل ربنا عز وجل الى سماء الدنيا قال الحافظ ابن حجر وقد اختلف
في معنى النزول على اقوال فمنهم من حمله على ظاهره وحقيقته وهم المشبهة

قف على حديث النزول

تعالى

تعالى الله عن قولهم **ومنهم** من انكر صحة الاحاديث وهم الخوارج **ومنهم**
من اجراه على ما ورد مؤمنا به على طريق الاجمال منزها لله تعالى عن الكيفية
والتشبيه وهم جمهور السلف ونقله البيهقي وغيره عن الائمة الاربعة
والسفيانين والحمادين والاوزاعي والليث وغيرهم **ومنهم** من اوله
على وجه يليق مستعمل في كلام العرب ومنهم من افرط في التاويل حتى كاد يخرج
الى نوع من التحريف قال البيهقي واسلمها الايمان بلا كيف والسكوت
عن المراد الا ان يرد ذلك عن الصادق فيصار اليه قال ومن الدليل على
ذلك اتفاقهم على ان التاويل المعين غير واجب فحينئذ التفويض اسلم انتهى
قلت ومذهب السلف اقول وادين الله تعالى به واسأله سبحانه
الموت عليه مع حسن الخاتمة في خير وعافية وقال العلامة الطوفي
في قواعد وجوب الاستقامة والاعتدال والمشهور عند اصحاب الامام احمد
انهم لا يتأولون الصفات التي من جنس الحركة كالمجيء والاتيان والنزول
والهبوط والدنو والتدلي كما لا يتأولون غيرها متابعة للسلف الصالح
قال وكلام السلف في هذا الباب يدل على اثبات المعنى المتنازع فيه قال
الاوزاعي لما سيل عن حديث النزول يفعل الله ما يشاء وقال حماد
ابن زيد يدنو من خلقه كيف يشاء قال وهو الذي حكاه الاشعري
عن اهل السنة والحديث وقال الفضيل بن عياض اذا قال لك الجهمي
انا اكفر برب يزول عن مكانه فقل انا اومن برب يفعل ما يشاء وقال
ابو الطيب حضرت عند ابي جعفر الترمذي وهو من كبار فقهاء الشافعية
واثنى عليه الدارقطني وغيره فسأله سايل عن حديث ان الله ينزل الى
سماء الدنيا وقال له فالنزول كيف يكون يبقى فوقه علو فقال ابو جعفر الترمذي

قف على قول البيهقي

قف على قال الجهمي

النزول معقول والكيف مجهول والايمان به واجب والسوال عنه بدعة فقد قال
في النزول كما قال مالك في الاستوي وهكذا القول في ساير الصفات وقال
ابو عبد الله احمد بن سعيد الرباطي حضرت مجلس الامير عبد الله بن طاهر وحضر
اسحاق بن راهويه فسيل عن حديث النزول الصحيح هو قال نعم فقال
له بعض قواعد الامير يا ابا يعقوب اتزعم ان الله ينزل كل ليلة قال نعم قال
كيف ينزل فقال له اسحاق اثبت الحديث حتى اصف لك النزول فقال له الرجل
اثبته فقال له اسحاق قال الله تعالى وجاء ربك والملك صفا صفا فقال
الامير عبد الله بن طاهر يا ابا يعقوب هذا يوم القيامة فقال اسحاق اعز الله
الامير ومن يجي يوم القيامة من يمنعه اليوم وقال حرب بن اسمعيل سمعت
اسحاق بن ابراهيم يقول ليس في النزول وصف قال وقال اسحاق لا يجوز
الخوض في امر الله كما يجوز الخوض في امر المخلوقين لقول الله تعالى لا يسئل
عما يفعل وهم يسيلون ولا يجوز ان يتوهم على الله بصفاته وافعاله بفهم
ما يجوز التفكر والنظر في امر المخلوقين وذلك انه يمكن ان يكون الله موصوفا
بالنزول كل ليلة اذا مضى ثلثها الى السما الدنيا كما يشا ولا يسيل كيف نزوله لان
الخالق يصنع ما يشا كما يشا انتهى كلام الطوفي وقال بعض المحققين من
الشافعية والذي شرح الله صدري في حال المتكلمين الذين اولوا الاستوا
بالاستيلا والنزول بنزول الامر واليدين بالنعمتين والقدرتين انهم ما فهموا
في صفات الرب الا ما يليق بالمخلوقين فما فهموا عن الله تعالى استوا يليق به
ولا نزول يليق به ولا يدين تليق بعظمته بلا تكييف ولا تشبيه فلذلك حرفوا
الكلم عن مواضعه وعطلوا ما وصف الله به نفسه او وصفه به رسوله ولا
رايت انا نحن وهم متفقون على اثبات صفة الحياة والسمع والبصر والعلم

والقدرة والارادة والكلام لله تعالى ونحن قطعا لا نعقل من الحياة والسمع
والبصر والعلم الا اعراضا تقوم بجوارحنا فكما يقولون حياته تعالى وعلمه
وسمعه وبصره ليست باعراض بل هي صفات كما تليق به لا كما تليق بنا فمثل
ذلك بعينه فوقيته واستواوه ونزوله ونحو ذلك فكل ذلك ثابت معلوم
غير مكيف بحركة او انتقال يليق بالمخلوق بل كما يليق بعظمته وجلاله فان صفاته
معلومة من حيث الجملة والثبوت غير معقولة من حيث التكييف والتحديد
ولا فرق بين الاستوا والنزول وبين السمع والبصر الكل ورد في النص فان قالوا في
الاستوا والنزول شبهتم فنقول لهم في السمع والبصر شبهتم ووصفتم ربكم
بالعرض فان قالوا لا عرض بل كما يليق به قلنا والاستوا والنزول والوجه
واليد صفات المخلوقين كما يليق به تعالى فالجميع ما يلزمونا به في الاستوا
والنزول واليد والوجه والقدم والضحك والتعجب من التشبيه نلزمهم
به في الحياة والسمع والبصر والعلم فكما لا يجعلونها اعراضا كذلك نحن
لا نجعلها جوارح ولا ما يوصف به المخلوق وليس من الانصاف ان يفهموا
في الاستوا والنزول والوجه واليد صفات المخلوقين فيحتاجوا الى التاويل
والتحريف ولا يفهموا ذلك في الصفات السبع وحيث نزهوا ربهم في الصفات
السبع مع اثباتها فكذلك يفعل في غيرها فان صفات الرب كلها جاءت في موضع
واحد وهو الكتاب والسنة فاذا اثبتنا تلك بلا تاويل واولنا هذه وحرفناها
كنا كمن امن ببعض الكتاب وكفر ببعض وفي هذا بلاغ وكفاية انتهى قال
اهل التاويل ان العرب تنسب الفعل الى من امر به كما تنسبه الى من فعله
وباشره بنفسه كما يقولون كتب الامير الى فلان وقطع يد اللص وضربه
وهو لم يباشر شيا من ذلك بنفسه ولهذا احتيج للتاكيد فيقولون تجاريه

نفسه وفعل كذا بنفسه وتقول العرب جا فلان اذا جا كتابه او وصيته ويقولون
انت ضربت زيدا المتولي ضربه ولم يامر اذا كان قد رضي بذلك قال تعالى فلم تقتلون
انبيا الله من قبل والمخاطبون بهذا لم يقتلوهم لكنهم لما رضوا بذلك ووالوا
القتلة نسب الفعل اليهم والمعنى هنا ان الله تعالى يامر ملكا بالنزول
في السما الدنيا فينادي بامره وقال بعضهم ان قوله ينزل راجع الى افعاله
لا الى ذاته المقدسة فان النزول كما يكون في الاجسام يكون في المعاني وراجع الى
الملك الذي ينزل بامره ونهيه تعالى فان حملت النزول في الحديث على الجسم
فتلك صفة الملك المبعوث بذلك وان حملته على المعنوي بمعنى انه لم يفعل ثم
فعل فسمي ذلك نزولا عن مرتبة الى مرتبة فهي عربية صحيحة **والحاصل**
ان تاويله بوجهين اما بان المراد ينزل امره او الملك بامره واما بمعنى انه استعارة
بمعنى التلطف بالداعين والاجابة لهم ونحو ذلك كما يقال نزل البايع في سلعته
اذا قارب المشتري بعد مباعدة وامكنه منها بعد منعه والمعنى هنا ان العبد
في هذا الوقت اقرب الى رحمة الله منه في غيره من الاوقات وانه تعالى يقبل
عليهم والعطف في هذا الوقت بما يلقيه في قلوبهم من التنبيه والتذكير
الباعثين لهم على الطاعة **وقد** حكى ابن فورك ان بعض المشايخ ضبط
رواية البخاري بضم اوله على حذف المفعول اي ينزل ملكا ويقويه ما رواه النسائي
وغيره عن ابي هريرة وابي سعيد رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
ان الله عز وجل يمهل حتى يمضي شطر الليل الاول ثم يامر مناديا يقول هل من داع
يستجاب له هل من مستغفر يغفر له هل من سايل يعطى قال القرطبي صححه
ابو محمد عبد الحق قال وهذا يرفع الاشكال ويزيل كل الاحتمال والسنة يفسر بعضها
بعضا وكذلك الايات ولا سبيل الى حملها على صفات الذات المقدسة فان الحديث

فيه

فيه التصريح بتجدد النزول واختصاصه ببعض الاوقات والساعات وصفات الرب
يجب اتصافها بالقدم وتنزيهها عن الحدوث والتجدد بالزمان قبل وكل ما لم يكن
فكان ولم يثبت فثبت من اوصافه تعالى فهو من قبيل صفات الافعال فالنزول
والاستوا من صفات الافعال والله تعالى اعلم **تنبيه** قال شيخ الاسلام
ابن تيمية جماع الامر ان الاقسام الممكنة في ايات الصفات واحاديثها ستة
اقسام كل قسم عليه طايفة من اهل القبلة قسمان يقولون تجرى على ظواهرها
وقسمان يقولون على خلاف ظواهرها وقسمان يسكتون **اما الاولون**
فقسمان احدهما من يجريها على ظاهرها من جنس صفات المخلوقين فهولاء
المشبهة ومذهبهم باطل انكره السلف واليهم توجه الرد بالحق **الثاني**
من يجريها على ظاهرها اللايق بجلال الله كما يجري اسم العليم والقدير والرب
والاله والموجود والذات ونحو ذلك على ظاهرها اللايق بجلال الله تعالى فان
ظواهر هذه الصفات في حق المخلوقين اما جوهر محدث واما عرض قايم فالعلم
والقدرة والكلام والمشية والرحمة والرضا والغضب ونحو ذلك في حق العبد
اعراض والوجه واليد والعين في حقه اجسام فاذا كان الله موصوفا عند
عامة اهل الاثبات بان له علما وقدرة وكلاما ومشية وان لم تكن اعراضا يجوز
عليها ما يجوز على صفات المخلوقين فكذلك الوجه واليد والعين صفات له
تعالى كصفات المخلوقين وهذا هو المذهب الذي حكاه الخطابي وغيره عن
السلف وعليه يدل كلام جمهورهم وكلام الباقين لا يخالفه وهو امر واضح فان
الصفات كالذات فكما ان ذات الله ثابتة حقيقة من غير ان تكون من جنس
ذوات المخلوقين فكذلك صفاته ثابتة من غير ان تكون من جنس صفات
المخلوقين فمن قال لا اعقل علما ويدا الا من جنس العلم واليد المعهودين قيل

له فكيف تعقل ذاتا من غير جنس ذوات المخلوقين ومن المعلوم ان صفات كل موصوف
تناسب ذاته وتلايم حقيقته فمن لم يفهم من صفات الرب الذي ليس كمثله شي
الا ما يناسب المخلوق فقد ضل في عقله ودينه وأما احسن ما قال بعضهم
اذا قال لك الجهمي كيف استوي او كيف ينزل الي السما الدنيا او كيف يداه ونحو
ذلك فقل له كيف هو في نفسه فاذا قال لا يعلم ما هو الا هو وكنه الباري غير
معلوم للبشر فقل له فالعلم بكيفية الصفة يستلزم العلم بكيفية الموصوف
فكيف يمكن ان تعلم كيفية الموصوف لم تعلم كيفيته وانما تعلم الذات والصفات
من حيث الجملة على الوجه الذي ينبغي له بل هذه الروح قد علم العاقل اضطراب
الناس فيها وامساك النصوص عن بيان كيفيتها افلا يعتبر العاقل بها عن الكلام
في كيفية الله تعالي مع انا نقطع بان الروح في البدن وانها تخرج منه وتعرج
الي السما وانها تسل منه وقت النزع كما نطقت بذلك النصوص الصحيحة لا نغالي
في تجريدها غلو المتفلسفة ومن وافقهم حيث نفوا عنها الصعود والنزول
والاتصال بالبدن والانفصال عنه وتخبطوا فيها حيث راوها من غير جنس
البدن وصفاته فعدم مماثلتها للبدن لا ينفي ان تكون هذه الصفات ثابتة
لها بحسبها قال واما القسمان اللذان يقولون هي على خلاف ظواهرها
فقسمان قسم يتاولونها ويعينون المراد مثل قولهم استوي بمعني استولي
او بمعني علو المكانة والقدر او بمعني ظهور نوره للعرش او بمعني انتهاء الخلق
اليه الي غير ذلك من معاني المتكلفين وقسم يقولون الله اعلم بالمراد بها
لكنا نعلم انه لم يرد بها اثبات صفة خارجة عما علمناه قال واما القسمان
الواقفان فقسم يقولون يجوز ان يكون المراد ظاهرها اللائق بالله تعالى
ويجوز ان لا يكون صفة لله وهذه طريقة كثير من الفقها وغيرهم وقسم

اذا قال لك الجهمي

يسكتون

يسكتون عن هذا كله ولا يزيدون على تلاوة القران وقراة الحديث معرضين بقلوبهم
والسنتهم عن هذه التقديرات قال فهذه الاقسام الستة لا يمكن ان يخرج الرجل
عن قسم منها قال والصواب في كثير من ايات الصفات واحاديثها القطع
بالطريقة الثابتة انتهي كلام ابن تيمية

خاتمة

قال الامام الحافظ
ابن الجوزي الحنبلي رحمه الله في كتابه صيد الخاطر من اضر الاشيا على العوام
كلام المتاولين والنفاة للصفات والاضافات فان الانبيا عليهم السلام
بالغوا في الاثبات ليتقرر في انفس العوام وجود الخالق فان النفوس تانس
بالاثبات فاذا سمع العامي ما يوجب النفي طرد عن قلبه الاثبات فكان من
اعظم الضرر عليه وكان هذا المنزه من العلما على زعمه مقاوما لاثبات
الانبيا بالمحو وشارعا في ابطال ما بعثوا به قال وبيان هذا ان الله اخبر
باستوايه على العرش فانست النفوس باثبات الاله ووجوده وقال
تعالي ويبقي وجه ربك وقال بل يداه مبسوطتان وقال غضب الله عليهم
رضي الله عنهم واخبر الرسول انه ينزل الي السما الدنيا وقال قلوب العباد
بين اصبعين من اصابع الرحمن وقال كتب التوراة بيده وكتب كتابا فهو
عنده فوق العرش الي غير ذلك مما يطول ذكره فاذا امتلا العامي والصبي
من الاثبات وكاد يانس من الاوصاف بما يفهمه الحس قيل له ليس كمثله شي
فمحا من قلبه ما نقشه وتبقي الفاظ الاثبات متمكنة ولهذا اقر الشارع على
مثل هذا فسمع منشدا يقول

وان العرش فوق الما طاف ° وفوق العرش رب العالمينا

فضحك وقال له الاخر او يضحك ربنا فقال نعم وقال انه على عرشه هكذا
واشار بيده مثل القبة كل هذا ليتقرر الاثبات في النفوس واكثر الخلق لا يفهم

من الاثبات الا بما يعلمون من الشاهد فيقنع منهم بذلك الى ان يفهموا التنزيه
ولهذا صحح الشارع اسلام من اعتصم من القتل بالسجود قال فاما اذا ابتدا
العامي الفارغ القلب من فهم الاثبات فقيل له ليس في السما ولا على العرش ولا يوصف
بيد وكلامه انما هو الصفة القايمة بذاته وليس عندنا منه شي ولا يتصور
نزوله انمحى من قلبه تعظيم المصحف الذي الاستخفاف به كفر ولم ينتقش في قلبه
سره اثبات الله وهذه جناية عظيمة على الانبيا توجب نقض ما تعبوا في
اثباته قال فلا يجوز للعالم ان ياتي الى عقيدة عامي قد انس بالاثبات فيكدرها
فانه يفسده ويصعب صلاحه فاما العالم فانا قد امناه فانه لا يخفى عليه
استحالة تجدد صفة لله وانه لا يجوز ان يكون استوى كما يعلم ولا يجوز ان يكون
سبحانه محمولا ولا ان يوصف بملاصقة ومماسة ولا انه ينتقل ولا يخفى عليه
ان المراد بتقليب القلوب بين اصبعين انما هو الاعلام بالتحكم في القلوب
فان ما يديره الانسان بين اصبعيه هو متحكم فيه الى الغاية ولا يحتاج الى تاويل
من قال الاصبع الاثر الحسن ولا الى تاويل من قال يداه نعمتاه لانه اذا فهم
ان المقصود الاثبات وقد حدثنا بما نعقل وضربت لنا الامثال بما نعلم وقد
ثبت عندنا بالاصل المقطوع به انه لا يجوز عليه تعالى ما يعرفه الحس فهمنا
المقصود بذكر ذلك قال فاصلح ما نقول للعوام امروا هذه الاشيا كما جات
ولا تتعرضوا لتاويلها كل ذلك لقصد حفظ الاثبات الذي جا به الانبيا
وهذا هو الذي قصده السلف وكان الامام احمد يمنع ان يقال لفظي بالقران
مخلوق او غير مخلوق كل ذلك ليحمل الناس على الاتباع لا الى الابتداع وتبقى
الفاظ الاثبات على حالها واجهل الناس من جا الى ما قصده النبي صلى الله
عليه وسلم قال لا تسافروا بالقران الى ارض العدو ويشير الى المصحف ومنع

الامام

الامام الشافعي ان يحمله المحدث بعلاقته تعظيما له فاذ لجا متحذلق فقال الكلام
صفة قايمة بذات المتكلم فمعنى قوله هذا انه ما ههنا شي يحترم فهذا
قد ضاد ما اتى به مقصود الشرع قال وينبغي ان تفهم اوضاع الشرع
ومقاصد الانبيا وقد منعوا من كشف ما قد قنع الشرع بستره فنهى رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن الكلام في القدر ونهى عن الاختلاف فان الباحث
عن القدر اذا بلغ فهمه الى ان يقول قضى وعاقب تزلزل ايمانه بالعدل
وان قال لم يقدر ولم يقض تزلزل ايمانه بالقدر فكان الاولى ترك الخوض في هذه
الاشيا قال ولعل قايلا يقول هذا منع لنا عن الاطلاع على الحقايق ولا مر
بالوقوف مع التقليد فاقول لا انما اعلمك ان المراد منك الايمان بالمجمل فانه
فان قوي فهمك تعجز عن ادراك الحقايق فان الخليل عليه السلام قال ارني كيف
تحيي الموتى فاراه ميتا حيي ولم يره كيف احياه لان قواه يعجز عن ادراك
ذلك يعني ومثله كقوله تعالى ويسالونك عن الروح قل الروح من امر
ربي ويسالونك عن الاهلة قل هي مواقيت للناس لعجز النفس عن ادراك
الحقايق على ما هي عليه قال وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم الذي
بعث ليبين للناس ما نزل اليهم يقنع من المسلم بنفس الاقرار واعتقاد
المجمل وكذلك الصحابة يعني وما نقل عنهم انهم قالوا يجب ان نعلم ان
لمولانا من الاوصاف كذا وكذا ويستحيل عليه كذا وكذا على سبيل التفصيل
قال وما نقل عنهم انهم تكلموا في تلاوة ومتلو وقراة ومقرو ولا
انهم قالوا استوى بمعنى استولى وينزل بمعنى يرحم بل قنعوا بالاثبات
للمجمل التي تثبت التعظيم عند النفوس وكفوا توهم الخيال بقوله تعالى ليس
كمثله شي قال ثم هذا منكر ونكير انما يسالان عن الاصول المجملة فيقولون

من ربك وما دينك وما نبيك ومن فهم هذا الفصل سلم من تشبيه المجسمة وتعطيل المعطلة ووقف على جادة السلف وقال الحافظ ابن الجوزي في موضع اخر رايت كثيرا من الخلق والعلما لا ينهون عن البحث عن اصول الاشيا التي امروا بعلم جملها من غير بحث عن حقايقها كالروح مثلا فان الله تعالى سترها بقوله قل الروح من امر ربي فلم يقنعوا واخذوا يبحثون عن ماهيتها وحقيقتها ولا يقعون بشي ولا يثبت لاحدهم برهان على ما يدعيه وكذلك العقل فانه موجود بلا شك كما ان الروح موجودة بلا شك وكلاهما انما يعرف باثاره لا بحقيقة ذاته قال فان قال قايل فما السر في كتم هذه الاشيا قلت لان النفس لا تزال ترتقي من حالة الى حالة فلو اطلعت على هذه الاشيا لترقت الى خالقها فكان ستر مادونه زيادة في تعظيمه لانه اذا كان بعض مخلوقاته لا تعلم حقيقته فهو سبحانه اجل واعلى ولو قال قايل ما الصواعق وما البرق وما الزلازل قلنا شي مزعج ويكفي والسر في هذا انه لو كشفت حقايقها خف مقدار تعظيمه قال فاذا ثبت هذا في المخلوقات فالخالق اجل واعلى فينبغي ان يوقف على في اثباته على دليل وجوده ثم يستدل على جواز بعثه رسله ثم يتلقى اوصافه من كتبه ورسله ولا يزاد على ذلك ولقد بحث خلق كثير عن صفاته تعالى بارايهم فعاد وبال ذلك عليهم فاذا قلنا انه موجود وعلمنا من كلامه انه سميع بصير حي قادر كفانا هذا في صفاته ولا نخوض في شي اخر وكذلك نقول متكلم والقران كلامه ولا نتكلف ما فوق ذلك ولم تقل السلف تلاوة ومتلو وقراة ومقرو ولا قالوا استوى على العرش بذاته ولا قالوا ينزل بذاته بل اطلقوا ما ورد من غير زيادة ونفوا ما ثبت بالدليل مما لا يجوز عليه سبحانه قال ايضا في موضع اخر عجبت من اقوام يدعون العلم ويميلون الى التشبيه بحملهم الاحاديث على

ظاهرها

ظاهرها فلو انهم امروها كما جات سلموا لان من امرّ ما جا مرّ من غير اعتراض ولا معترض فما قال شيا لا له ولا عليه ولكن اقوام قصرت علومهم فراوا ان حمل الكلام على ظاهره نوع تعطيل ولو فهموا سعة اللغة لم يظنوا هذا وما هم الا عتابة قول الحجاج لكاتبه وقد مدحته الخنسا يعني وليلى الاخيلية

اذا نزل الحجاج ارضا مريضة ... تتبع اقصى دايها فشفاها
شفاها من الدا العضال الذي بها ... غلام اذا هز القناة سقاها

فلما تمت القصيدة قال الحجاج لكاتبه اقطع لسانها فجا ذاك الكاتب المغفل بالموسى فقالت له ويلك انما قال لك اجزل لها العطا ثم ذهبت الى الحجاج فقالت كاد والله يقطع مقولي فكذلك الظاهرية الذين لم يسلموا بلا تسليم فانه من قرا الايات والاحاديث ولم يزد لم نلمه وهذه طريقة السلف فامامن قال الحديث يقتضي كذا ويحمل على كذا مثل ان يقول استوى على العرش بذاته وينزل الى سما الدنيا بذاته فهذه زيادة فهمها قايلها من الحس لا من النقل قال وقد تكلموا باقبح ما يتكلم به المتاولون ثم عابوا المتكلمين المتاولين قال واعلم انه قد سبق الينا من العقل والنقل اصلان راسخان عليهما تمر الاحاديث كلها اما النقل فقوله سبحانه ليس كمثله شي ومن فهم هذا لم يحمل وصفا له تعالى على ما يوجبه الشرع واما العقل فقد علم مباينة الصانع للمصنوعات واستدل على حدوثها بتغيرها ودخول الانفعال عليها والحياة من راى ولم يفهم السر في الحديث الصحيح ان الموت يذبح بين الجنة والنار وليس العقل اذا استفتي في هذا صرف الامر عن حقيقته لما ثبت عنده من فهم ماهية الموت فقال الموت عرض يوجب بطلان الحياة فكيف يموت الموت او يذبح فاذا قيل له فما تصنع في الحديث فقال هذا ضرب مثل باقامة صورة

بمقالة ليعلم بتلك الصورة الحسية موت ذلك المعنى قلنا له قد ورد في الحديث
الصحيح تاتي البقرة وال عمران كانهما غمامتان فقال الكلام لا يكون غمامة ولا
يشبه بها قلنا افتعطل النقل قال لا ولكن ياتي ثوابهما قلنا فما الدليل الصارف
لك عن هذه الحقايق قال علمي بان الكلام لا يشبه بالاجسام والموت لا يذبح ذبح
الانعام ولو علمتم سعة لغة العرب ما ضاقت اعطانكم من سماع مثل هذا فقال له
العلماء صدقت هكذا نقول في تفسير مجي سورة البقرة وفي ذبح الموت فقال
واعجبا لكم صرفتم عن الموت والكلام وما لا يليق بهما حفظا لما علمتم من حقايقهما
فكيف لم يصرفوا عن الاله القديم ما يوجب التشبيه له بخلقه مما قد دل الدليل
على تنزيهه عنه سبحانه **وقال** ايضا اعلم ان شرعنا مضبوط الاصول
محروس القواعد لا خلل فيه ولا دخل وكذلك جميع الشرايع انما الافة تدخل من
المبتدعين في الدين او الجهاد مثل ما فعل النصارى حين راوا احيا الموتى
على يد عيسى عليه السلام فانهم تاملوا الفعل الخارق للعادة الذي لا يصلح
للبشر فنسبوا الفاعل الى الالهية ولو تاملوا ذاته لعلموا انها مركبة
على النقايص والحاجات وهذا القدر يكفي في عدم صلاح الالهية ويعلم حينئذ
ان الذي جرى على يديه انما هو فعل غيره وقد يقع مثل ذلك في الفروع مثل
ما روي انه فرض على النصارى صوم شهر فزادوا عشرين يوما ثم جعلوه في
فصل من السنة بارايهم ومن هذا الجنس تخبيط اليهود في الاصول والفروع
وقد ثارت الضلالات في هذه الامة ايضا وان كان عمومهم قد حفظ من الشرك
لانهم اعقل الامم وافهمها غير ان الشيطان قارب ببعضهم الكفر واغرق بعضهم
في بحار الضلال قال فرد ذلك ان الرسول صلى الله عليه وسلم جا بكتاب عزيز من عند
الله عز وجل فقيل في صفته ما فرطنا في الكتاب من شي وبين ما عساه يشكل

مما

وقال

مما يحتاج الى بيانه بسنته كما قيل لتبين للناس ما نزل اليهم ثم قال بعد البيان
تركتكم على بيضا نقية فجا اقوام بعده فلم يقنعوا بتبيينه ولم يرضوا بطريقة
الصحابة فبحثوا ثم انقسموا فمنهم من تعرض لما تعب الشرع في اثباته في القلوب
فمحاه منها فان القران والحديث يثبتان الاله عز وجل باوصاف تقرر وجوده
في النفوس كقوله تعالى ثم استوى على العرش وقوله بل يداه مبسوطتان وقوله
ولتصنع على عيني وقوله عليه السلام ينزل الله الى السما الدنيا ويبسط يده
لمسي الليل والنهار ويضحك وكل هذه الاشيا وان كان ظاهرها يوجب
تخايل التشبيه فالمراد منها اثبات موجود فلما علم الشرع ما يطرق القلوب
من التوهمات عند سماعها قطع ذلك بقوله ليس كمثله شي قال
ثم ان هولا القوم عادوا الى القران الذي هو المعجز الاكبر وقد قصد الشرع تقرير
وجوده فقال سبحانه انا انزلناه نزل به الروح الامين وهذا كتاب انزلناه
واثبته في القلوب بقوله في صدور الذين اوتوا العلم وفي المصاحف بقوله
في لوح محفوظ وانه لفي زبر الاولين فقال قوم من هولا هو مخلوق فاسقطوا
حرمته من النفوس وقالوا لم ينزل ولا يتصور نزوله وكيف تنفصل الصفة
عن الموصوف وليس في المصحف الا حبر وورق فعادوا الى ما بعث الشارع
في اثباته بالمحو كما قالوا ان الله عز وجل ليس في السما ولا يقال استوى على العرش
ولا ينزل الى السما الدنيا بل ذاك رحمته فمحوا من القلوب ما اريد اثباته فيها
وليس هذا مراد الشارع وجا اخرون فلم يقفوا على ما حده الشرع بل عملوا فيه
بارايهم فقالوا الله على العرش ولم يقنعوا بقوله ثم استوى على العرش قال
ودفن لهم اقوام من سلفهم دفاين ووضعت لهم الملاحدة احاديث فلم يعلموا
ما يجوز عليه سبحانه مما لا يجوز فاثبتوا بها صفاته وجمهور الصحيح منها اتى

علي توسع العرب فلحذوه هم علي الظاهر فكانوا في ضرب المثل كجحي فان امه قالت له احفظ
الباب فقلعه ومشي به فاخذ ما في الدار فلامته امه فقال انما قلتي لي احفظ الباب
وما قلت احفظ الدار ولما لم يخايلوا صورة عظيمة علي العرش اخذوا يتاولون
ما ينافي وجودها علي العرش مثل قوله ومن اتاني يمشي اتيته هرولة فقالوا ليس
المراد به دنو الذات وانما المراد قرب المنهل والحظ وقالوا في قوله الا ان ياتيهم الله
في ظلل هو محمول علي ظاهره في مجي الذات فهم يحملونه عاما ويحرمونه عاما ويسمون
الاضافات الي الله تعالي صفات فانه قد اضاف اليه النفخ والروح واثبتوا لخلقه
باليد وقالوا هي صفة تولي بها خلق ادم دون غيره والا فاي مزية كانت تكون لادم
فشغلهم النظر في فضيلة ادم عن النظر الي ما يليق بالحق مما لا يليق به فانه لا يجوز
عليه المس ولا العمل بالالات وقالوا نطلق علي الله اسم الصورة لقوله خلق ادم علي
صورته وقالوا في حديث الرحم وانها تعلقت بحقو الرحمن الحقو صفة ذات قال
وذكروا احاديث لو رويت في نقض الوضو ما قبلت وعمومها وضعته الملاحدة
كما يروي عن عبد الله بن عمرو قال خلق الله الملايكة من نور الذراعين والصدر
فقالوا نثبت هذا علي ظاهره ثم ارضوا العوام بقولهم ولا نثبت جوارح فكانهم
يقولون قايم ما هو قايم واختلف قولهم هل يطلق علي الله عز وجل انه جالس
او قايم كقوله قايما بالقسط لا يراد به القيام وانما هو كما يقال الامير قايم بالعدل
قال وانما ذكرت بعض اقوالهم لئلا يسكن الي شي منها فالحذر من هولاء انما
الطريق طريق السلف علي اني اقول لك قال احمد بن حنبل من ضيق علم الرجل
ان يقلد في دينه الرجال فلا ينبغي ان تسمع عن معظم في النفوس شيا في الاصول
فتقلده فيه ولو سمعت عن احمد بن حنبل ما لا يوافق الاصول فتقلده فيه
الصحيحة فقل هذا من الراوي لانه قد ثبت عن ذلك الامام وانه لا يقول في

شي

شي برايه فلو قدرنا صحته عنه فانه لا يقلد في الاصول ولا ابو بكر وعمر قال
فهذا اصل يجب البنا عليه فلا يهولنك ذكر معظم في النفوس فان المحقق
العارف لا يهوله ذلك كما قال رجل لعلي بن ابي طالب اتظن انا نظن ان طلحة
والزبير كانا علي الباطل وانت علي الحق فقال له علي ان الحق لا يعرف بالرجال
اعرف الحق تعرف اهله ولعمري انه قد وقر في النفوس تعظيم اقوام فاذا نقل عنهم
شي فسمعه جاهل قبله لتعظيمهم في نفسه كما نقل عن ابي يزيد البسطامي انه
قال تراعبت علي نفسي فحلفت لا اشرب الما سنة وهذا ان صح عنه كان
خطا قبيحا وزلة فاحشة لان الما ينفذ الاغذية الي البدن ولا يقوم مقامه
شي فاذا لم يشرب فقد سعي في اذي بدنه وضر نفسه التي ليست له وانه لا يجوز
له التصرف فيها الا عن اذن مالكها وقال ايضا قدم الي بغداد جماعة
من اهل البدع الاعاجم فارتقوا منابر التذكير للعوام فكان معظم مجالسهم
انهم يقولون ليس لله في الارض كلام وهل المصحف الا ورق وعفص وزاج وان
الله ليس علي العرش ولا في السما وان الجارية التي قال لها النبي صلى الله عليه وسلم
اين الله كانت خرسا فاشارت الي السما اي ليس هو من الاصنام التي تعبد في الارض
ثم يقولون اين الحروفية الذين يزعمون ان القران حرف وصوت هذا عبارة جبريل
فما زالوا كذلك حتي هان تعظيم القران في صدور اكثر العوام وصاروا يقولون هذا
هو الصحيح ودس الشيطان دسايس البدع فقال قوم هذا المشار اليه مخلوق
مع ان الامام احمد بن حنبل ثبت في ذلك ثبوتا لم يثبته غيره علي دفع هذا القول
لئلا يتطرق الي القران ما يمحو تعظيمه من النفوس ويخرجه عن الاضافة الي الله
تعالي وراي ان ابتداع ما لم يقل به لا يجوز فقال كيف اقول ما لم يقل ثم اختلف
الناس في ذلك الي ان جا بعض المتكلمين فقال ان الكلام صفة قايمة بالنفس

فتخبطت العقايد مع ان الله ورسوله قنع من الخلق بالايمان الاجمالي ولم
يكلفهم معرفة التفاصيل والوقوف على الماهية اما لان الاطلاع على ذلك يخبط
العقايد واما لان قوى البشر تعجز عن مطالعة ذلك ونهى عن الخوض فيما يثير
غبار شبهة واذا كان قد نهى عن الخوض في القدر فكيف يجوز الخوض في صفات المقدر
واذا كانت الظواهر تثبت وجود القران وانه كلام الله حقيقة فقال قايل
ليس كذلك فقد نفى الظواهر الذي تعب الرسول في اثباتها وقرر وجودها في
النفوس وهل للمخالف دليل الا ان يقول قال الله فيثبت ما نفى فليس الصواب
لمن وفق الا الوقوف مع ظاهر الشرع واما قولهم ليس في المصحف الا ورق وعفص
وزاج فهو كقول القايل هل الادمي الا لحم ودم هيهات ان معنى الادمي هو الروح
فمن نظر الى اللحم والدم وقف مع الحس واثبات الاله بظواهر الايات والاحاديث
الزم للعوام من تحديثهم بالتنزيه وان كان التنزيه لازما وقد كان ابن عقيل
يقول الاصلح لاعتقاد العوام ظواهر الايات والاحاديث لانهم يانسون بالاثبات
فمتى محونا ذلك من قلوبهم زالت السياسات والخشية وتهافت العوام في
التشبيه احب الي من اغراقهم في التنزيه لان التشبيه يغمسهم في الاثبات
فيطمعوا ويخافوا شيا قد تخايلوا امثاله يرجى ويخاف واما التنزيه فانه يرمي
بهم الى النفي ولا طمع ولا مخافة من النفي قال ومن تدبر الشريعة عرف سر ذلك
وقال شيخ الاسلام بن تيمية ما ملخصه ما قاله الله تعالى ورسوله
والسابقون الاولون وما قاله ايمة الهدى هو الواجب على جميع الخلق في هذا
الباب وغيره فان الله تعالى بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالهدى ودين الحق
ليخرج الناس من الظلمات الى النور وشهد له بانه بعثه داعيا اليه باذنه وسراجا
منيرا فمن المحال في العقل والدين ان يكون السراج المنير الذي اخبر الله تعالى بانه

اكمل له ولامته دينهم ان يكون قد ترك باب الايمان بالله والعلم به ملتبسا مشتبها
ولم يميز ما يجب لله من الاسما الحسنى والصفات العلى وما يجوز عليه او يمتنع فان
معرفة هذا اصل الدين واساس الهداية وافضل ما اكتسبته القلوب وحصلته
النفوس وادركته العقول وقال فيما صح عنه ما بعث الله نبيا الا كان حقا
عليه ان يدل امته على خير ما يعلمه لهم وينهاهم عن شر ما يعلمه لهم فمن المحال
تعليمه عليه السلام لامته كل شي لهم فيه منفعة وان دقت ان يترك تعليمهم
ما يقولونه بالسنتهم وقلوبهم في ربهم ومعبودهم الذي معرفته غاية المعارف
وعبادته اشرف المقاصد والوصول اليه غاية المطالب فكيف يتوهم من في
قلبه ادنى مسكة من الايمان وحكمة ان لا يكون بيان هذا الباب قد وقع من
الرسول على غاية التمام ثم اذا كان قد وقع ذلك منه فمن المحال ان خير
امته وافضل القرون قصروا في هذا الباب زايدين فيه او ناقصين عنه
ثم من المحال ايضا ان يكون القرون الفاضلة القرن الذي بعث فيهم رسول
الله صلى الله عليه وسلم ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم كانوا غير عالمين
ولا قايلين في هذا الباب بالحق المبين فهذا لا يعتقده مسلم ولا عاقل عرف
حال القوم ولا ان يعتقد ان الخلف في استخراج معاني النصوص اعلم
من السلف او ان طريقة السلف اسلم وطريقة الخلف اعلم واحكم ظنا ان
طريقة السلف هي مجرد الايمان بالفاظ القران والحديث من غير فقه ذلك وان
طريقة الخلف هي استخراج معاني النصوص المصروفة عن حقايقها بانواع
المجازات وغرايب اللغات فهذا الظن فاسد اوجب تلك المقالة وسبب
ذلك اعتقادهم انه ليس في نفس الامر صفة دلت عليها النصوص فلما
اعتقدوا انتفا الصفات في نفس الامر وكان مع ذلك لا بد للنصوص من

معنى يقولون مترددين بين الايمان باللفظ وتفويض المعنى وهي التي يسمونها
طريقة السلف وبين صرف اللفظ الى معان بنوع تكلف وهي التي يسمونها
طريقة الخلف وصار هذا الباطل مركبا من فساد العقل والتكذيب بالسمع
فان النفي انما اعتمدوا فيه على امور عقلية ظنوها بينات وهي شبهات
والسمع حرفوا فيه الكلم عن مواضعه فلما ابتنا امرهم على هاتين المقدمتين
كانت النتيجة استجهال السابقين الاولين وانهم لم يتبحروا في حقايق العلم
بالله ولم يتفطنوا لدقيق العلم الالهي وان الخلف الفضلا حازوا قصب
السبق في هذا كله وهذا القول اذا تدبره الانسان وجده في غاية الجهالة
بقدر السلف فكيف يكون الخلف اعلم بالله واسمايه وصفاته واحكم في
باب ذاته واياته من السابقين الاولين من المهاجرين والانصار والذين
اتبعوهم باحسان من ورثة الانبيا واعلام الهدى الذين بهم قام الكتاب
وبه قاموا وبهم نطق الكتاب وبه نطقوا الذين وهبهم الله من العلم
والحكمة واحاطوا من حقايق المعارف وبواطن الحقايق بما لو جمعت حكمة
غيرهم اليها لاستحيا من يطلب المقابلة تمم قال ولم يقل احد
قط ان الله ليس على العرش ولا انه في كل مكان ولا انه لا داخل العالم
ولا خارجه ولا متصلا به ولا منفصلا عنه ولا انه لا تجوز الاشارة اليه
فان كان الحق فيما يقوله هولا النافون للصفات الثابتة في الكتاب
والسنة من هذه العبارات ونحوها دون ما يفهم من الكتاب والسنة
اما نصا واما ظاهرا فكيف يجوز على الله ورسوله ثم على خير الامة انهم
يتكلمون دايما بما هو نص او ظاهر في خلاف الحق ثم الحق الذي يجب اعتقاده
لا يبوحون به قط ولا يدلون عليه حتى جا المتوغلون في علوم الفلاسفة

فبينوا

فبينوا للامة العقيدة الصحيحة ودفعوا بمقتضى عقولهم ما دل عليه
الكتاب والسنة نصا او ظاهرا فان كان الحق في قولهم فلقد كان ترك
الناس بلا كتاب ولا سنة اهدى لهم وانفع على هذا التقدير فان حقيقة
الامر على ما يقوله هولا انكم يا معشر العباد لا تطلبوا معرفة الله وما
يستحقه من الصفات لا من الكتاب ولا من السنة ولا من طريق سلف الامة
ولكن انظروا انتم فما وجدتموه مستحقا له من الصفات في عقولكم فصفوه به
سوا كان موجودا في الكتاب والسنة او لم يكن وما لم تجدوه مستحقا له
في عقولكم فلا تصفوه به ثم هم هنا فريقان اكثرهم يقول ما لم تثبته
عقولكم فانفوه ومنهم من يقول بل توقفوا فيه وكان الله تعالى قال لهم
ما نفاه قياس عقولكم مما اختلفتم فيه فانفوه واليه عند التنازع فارجعوا
فانه الحق الذي تعبدتكم به وما كان مذكورا في الكتاب والسنة مما يخالف قياسكم
هذا او يثبت ما لم تدركه عقولكم فاعلموا اني امتحنتكم بتنزيله لا لتاخذوا
الهدى منه لكن لتجتهدوا في تخريجه على شواذ اللغة ووحشي الالفاظ وغرايب
الكلام وان تسكتوا عنه مفوضين علمه الى الله مع نفي دلالته على شي من
الصفات هذا حقيقة الامر على راي هولا المتكلمين قال وهذا الكلام قد
رايته صرح بمعناه طايفة من المتكلمين وان كتاب الله لا يهتدى به في معرفة
الله وان الرسول معزول عن التعليم والاخبار بصفات من ارسله وما ابه حال
هولا بقوله تعالى الم تر الى الذين يزعمون انهم امنوا بما انزل اليك وما انزل من
قبلك يريدون ان يتحاكموا الى الطاغوت وقد امروا ان يكفروا به الى قوله ثم
جاوك يحلفون بالله ان اردنا الا احسانا وتوفيقا فان هولا اذا دعوا الى
ما انزل الله من الكتاب والى الرسول اي الى سنته اعرضوا عن ذلك وهم يقولون

انا قصدنا الاحسان علما وعملا بهذه الطريق التي سلكناها والتوفيق بين
الدلايل العقلية والنقلية قال فيقال لهم يا سبحان الله كيف لم يقل الرسول
يوما من الدهر ولا احد من سلف الامة هذه الايات والاحاديث لا تعتقدوا
ما دلت عليه لكن اعتقدوا الذي تقتضيه مقاييسكم فانه الحق ثم
الرسول قد اخبر بان امته ستفترق ثلاثا وسبعين فرقة فقد علم
ما سيكون ثم قال اني تارك فيكم ما ان تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله
وقال في صفة الفرقة الناجية هو من كان على مثل ما انا عليه اليوم واصحابي
فهلا قال من تمسك بظاهر القران في باب الاعتقاد فهو ضال وانما
الهدي رجوعكم الى مقاييس عقولكم وما يحدثه المتكلمون منكم بعد
القرون الثلاثة قال ثم اصل هذه المقالة مقالة التعطيل للصفات
انما هو ماخوذ من تلامذة اليهود والصابيين قال واول من حفظ
عنه انه قال هذه المقالة في الاسلام اعني ان الله ليس على العرش وانما
استوي استولي ونحو ذلك هو الجعد بن درهم اخذها عنه الجهم بن صفوان
واظهرها فنسبت مقالة الجهمية اليه وقد قيل ان الجعد اخذ مقالته
عن ابان بن سمعان واخذها ابان من طالوت بن اخت لبيد بن اعصم
واخذها طالوت من لبيد بن اعصم اليهودي الساحر الذي سحر النبي صلى
الله عليه وسلم وكان الجعد هذا فيما قيل من اهل حران وكان فيهم
خلق كثير من الصابية والفلاسفة بقايا اهل دين النمرود الكنعانيين
والنمرود اسم لملك الصابيين كما ان كسرى اسم لملك الفرس والمجوس وعلماء
الصابيين هم الفلاسفة وكان اوليك الصابيون اذ ذاك كفارا مشركين
وكانوا يعبدون الكواكب ويبنون لها الهياكل ومذهب نفاة صفات

الرب

الرب من هؤلاء انه ليس له تعالى الا صفات سلبية او اضافية او مركبة منهما
وهم الذين بعث اليهم ابراهيم الخليل عليه السلام فيكون الجعد قد اخذها عن
الصابية الفلاسفة واخذها الجهم ايضا فيما ذكره الامام احمد وغيره ولما كان
في حدود الماية الثانية انتشرت هذه المقالة التي كان السلف يسمونها
مقالة الجهمية بسبب بشر المريسي وطبقته وكان الايمة مثل مالك
وسفيان وابن المبارك وابي يوسف والشافعي واحمد واسحق والفضيل
ابن عياض وبشر الحافي يبالغون في ذم الكلام وفي ذم بشر المريسي
هذا وتضليله حتى ان هارون الرشيد قال يوما بلغني ان بشر المريسي
يقول القران مخلوق ولله علي ان اظفرني به لاقتلنه قتلة ما قتلتها
احدا فاقام بشر متواريا ايام الرشيد نحوا من عشرين سنة قد
وهذه التاويلات الموجودة اليوم بايدي الناس مثل اكثر التاويلات التي
ذكرها ابو بكر بن فورك في كتاب التاويلات وذكرها الفخر الرازي في كتابه
الذي سماه تاسيس التقديس ويوجد كثير منها في كلام كثير غير هؤلاء مثل
ابي علي الجبائي وعبد الجبار بن احمد الهمداني وابي الحسين البصري وابي
الوفا بن عقيل وابي حامد الغزالي وغيرهم هي بعينها التاويلات التي
ذكرها بشر المريسي في كتابه قال ويدل على ذلك كتاب الرد الذي
صنفه الامام الدارمي عثمان بن سعيد احد الايمة المشاهير في زمان البخاري
صنف كتابا سماه رد عثمان بن سعيد على الكاذب العنيد فيما افترى
على الله من التوحيد حكى فيه هذه التاويلات باعيانها عن بشر المريسي
بكلام يقتضي ان المريسي اقعد بها واعلم بالمعقول والمنقول من هؤلاء
المتاخرين الذين اتصلت اليهم من جهته ثم رد الدارمي ذلك بكلام اذا

طالعه العاقل الذكي يسلم حقيقة ما كان عليه السلف ويتبين له ظهور الحجة
لطريقهم وضعف حجة من خالفهم ثم اذا رأى ائمة الهدى قد اجمعوا على ذم
المريسية واكثرهم كفروهم او ضللوهم تبين له الهدى قال ـــــ والعاقل
يسير فينظر وكلام السلف في هذا الباب موجود في كتب كثيرة لا يمكن ان نذكر
منها الا قليلا مثل كتاب السنن للالكائي والابانة لابن بطة والسنة لابي ذر
الهروي ولابي عبد الله بن منده والاصول لابي عمر الطلمنكي وكلام ابي عمر
ابن عبد البر والاسما والصفات للبيهقي وقبل ذلك السنة للطبراني
ولابي الشيخ الاصبهاني وقبل ذلك السنة للخلال والتوحيد لابن خزيمة
وكلام ابي العباس بن سريج والرد على الجهمية لجماعة وقبل ذلك السنة
لعبد الله ابن الامام احمد والسنة لابي بكر الاثرم والسنة لحنبل وللمروزي
ولابي داود ولابي شيبة والسنة لابن ابي حاتم وكتاب الرد على الجهمية
لعبد الله بن محمد شيخ البخاري وكتاب الرد على الجهمية للدارمي وكتاب نعيم
ابن حماد الخزاعي وكتب عبد الرحمن بن ابي حاتم وكلام الامام احمد بن حنبل واسحاق
ابن راهويه ويحيى بن يحيى النيسابوري وامثالهم قال ـــــ وعندنا
من الدلايل السمعية والعقلية ما لا يتسع هذا الموضع لذكره قال ـــــ
ثم القول الشامل في جميع هذا الباب ان يوصف الله بما وصف به نفسه
او وصفه به رسوله وبما وصفه به السابقون الاولون لا يتجاوز القران
والحديث قال ـــــ الامام احمد رحمه الله لا يوصف الله الا بما وصف به نفسه
او وصفه به رسوله لا يتجاوز القران والحديث ومذهب السلف انهم يصفون
الله بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله من غير تحريف ولا تعطيل
ومن غير تكييف ولا تمثيل ونعلم ان ما وصف الله به نفسه من ذلك فهو

حق

حق ليس فيه لغز ولا احاجي بل معناه يعرف من حيث يعرف مقصود المتكلم بكلامه
وهو سبحانه مع ذلك ليس كمثله شي لا في نفسه المقدسة المذكورة باسمائها وصفاتها
ولا في افعاله فكما نتيقن ان الله سبحانه له ذات حقيقة وله افعال حقيقة فكذلك
له صفات حقيقة وهو ليس كمثله شي لا في ذاته ولا في صفاته ولا في افعاله وكل ما
اوجب نقصا او حدوثا فان الله تعالى منزه عنه فانه سبحانه مستحق للكمال
الذي لا غاية فوقه ومذهب السلف بين التعطيل والتمثيل فلا يمثلون
صفات الله بصفات خلقه كما لا يمثلون ذاته بذات خلقه ولا ينفون عنه
ما وصف به نفسه او وصفه به رسوله فيعطلون اسمائه الحسنى وصفاته
العليا ويحرفون الكلم عن مواضعه فان من حرفوا لم يفهموا من اسما الله وصفاته الا
ما هو اللايق بالمخلوق ثم شرعوا في نفي تلك المفهومات فقد جمعوا بين
التمثيل والتعطيل مثلوا اولا وعطلوا اخرا فهذا تشبيه وتمثيل منهم للمفهوم
من اسمايه وصفاته بالمفهوم من اسما خلقه وصفاتهم وتعطيل لما يستحقه
هو سبحانه من الاسما والصفات اللايقة به تعالى قال ـــــ ثم المخالفون
للكتاب والسنة وسلف الامة من المتاولين لهذا الباب في امر مريج فان
من ينكر الروية يزعم ان العقل يحيلها وانه مضطر الى التاويل ومن يحيل
ان لله علما وقدرة وان كلامه غير مخلوق ونحو ذلك يقول ان العقل احال
ذلك فاضطر الى التاويل بل من ينكر حقيقة حشر الاجساد والاكل
والشرب الحقيقي في الجنة يزعم ان العقل احال ذلك وانه مضطر الى
التاويل ومن يزعم ان الله ليس فوق العرش يزعم ان العقل احال ذلك
وانه مضطر الى التاويل ويكفيك دليلا على فساد قول هولا انه ليس
لواحد منهم قاعدة مستمرة فيما يحيله العقل بل منهم من يزعم ان العقل

جوزا واوجب مما يدعي الاخران العقل احاله يا ليت شعري باي عقل يوزن
الكتاب والسنة فرضي الله عن مالك بن انس الامام حيث قال اوكلما جانا رجل
اجدل من رجل تركنا ما جا به جبريل الي محمد صلى الله عليه وسلم لجدل هولا وكل
من هولا يخصموم بمثل ما خصم به الاخر فكل من ظن ان غير الرسول والسلف اعلم
بهذا الباب او اكمل بيانا او احرص علي هدي الخلق فهو من الملحدين لا من المومنين

قال والمنحرفون عن طريقة السلف ثلاث طوايف اهل
التخييل واهل التاويل واهل التجهيل فاهل التخييل هم المتفلسفة
ومن سلك سبيلهم من متكلم ومتصوف ومتفقه فانهم يقولون ان ما ذكره الرسول
من امر الايمان بالله واليوم الاخر انما هو تخييل للحقايق لينتفع به الجمهور لا انه
بين به الحق ولا هدي به الخلق ولا اوضح الحقايق ثم هم علي قسمين
منهم من يقول ان الرسول لم يعلم الحقايق علي ما هي عليه ويقولون ان من الفلاسفة
الالهية من علمها وكذلك من الاشخاص الذين يسمونهم اوليا من علمها ويزعمون
ان من الفلاسفة والاوليا من هو اعلم بالله واليوم الاخر من المرسلين وهذه
مقالة غلاة الملحدين من الفلاسفة الباطنية باطنية الشيعة وباطنية
الصوفية ومنهم من يقول بل الرسول علمها لكن لم يبينها وانما تكلم بما يناقضها
واراد من الخلق فهم ما يناقضها لان مصلحة الخلق في هذه الاعتقادات
التي لا تطابق الحق ويقول هولا يجب علي الرسول ان يدعوا الناس الي اعتقاد
التجسيم مع انه باطل والي اعتقاد معاد الابدان مع انه باطل ويخبرهم
ان اهل الجنة ياكلون ويشربون مع ان ذلك باطل لانه لا يمكن دعوة الخلق
الا بهذه الطريقة التي تتضمن الكذب لمصلحة العباد فهذا قول هولا في نصوص
الايمان بالله واليوم الاخر واما الاعمال فمنهم من يقرها ومنهم من يجريها هذا

المجرى

المجرى ويقول انما يومر بها بعض الناس دون بعض ويومر بها العامة دون
الخاصة وهذه طريقة الباطنية الملاحدة والاسماعيلية ونحوهم واما
اهل التاويل فيقولون ان النصوص الواردة في الصفات لم يقصد بها الرسول
ان يعتقد الناس بها الباطل ولكن قصد بها معاني ولم يبين لهم ذلك
ولا دلهم عليها ولكن اراد ان ينظروا فيعرفوا الحق بعقولهم ثم يجتهدوا
في صرف تلك النصوص عن مدلولها ومقصوده امتحانهم وتكليفهم
واتعاب اذهانهم وعقولهم في ان يصرفوا كلامه عن مدلوله ومقتضاه
ويعرفوا الحق من غير جهته وهذا قول المتكلمة والجهمية والمعتزلة وهم
وان تظاهروا بنصر السنة في مواضع كثيرة لكن في الحقيقة لا للاسلام نصروا
ولا للفلاسفة كسروا لكن اولئك الملاحدة الزموهم في نصوص المعاد
نظير ما ادعوه في نصوصهم الصفات فقالوا نحن نعلم بالاضطرار ان
الرسل جاءت بمعاد الابدان وقد علمنا فساد الشبه المانعة منه والسلف
ومن تبعهم يقولون لهم ونحن نعلم بالاضطرار ان الرسل جاءت باثبات
الصفات ونصوص الصفات في الكتب الالهية اكثر واعظم من نصوص
المعاد ويقولون لهم معلوم ان مشركي العرب وغيرهم كانوا ينكرون
المعاد وقد انكروه علي الرسول وناظروه عليه بخلاف الصفات
فانه لم ينكر شيا منها احد من العرب فعلم ان اقرار العقول بالصفات
اعظم من اقرارها بالمعاد وهذا والحق ظاهر في نفسه وعليه نور والحق
يقبل من كل من تكلم به وكان معاذ بن جبل رضي الله عنه يقول كما رواه
ابو داود في سننه اقبلوا الحق من كل من جاء به وان كان كافرا او قال
فاجرا واحذروا زيغة الحكيم قالوا كيف نعلم ان الكافر يقول الحق قال

واما

ان على الحق نورا او كلاما هذا معناه **قال** ابن تيمية والله يعلم اني بعد
البحث التام ومطالعة ما امكن من كلام السلف ما رايت كلام احد منهم يدل لا نصا
ولا ظاهرا ولا بالقراين على نفي الصفات الخبرية في نفس الامر بل الذي رايته
انهم يثبتون جنسها في الجملة وما رايت احدا منهم نفاها وانما ينفون التشبيه
وينكرون على المشبهة الذين يشبهون الله بخلقه مع انكارهم على من ينفي الصفات
كقول نعيم بن حماد الخزاعي شيخ البخاري من شبه الله بخلقه فقد كفر ومن جحد
ما وصف الله به نفسه فقد كفر وليس ما وصف الله به نفسه ولا رسوله تشبيها
وكانوا اذا راوا الرجل قد اغرق في نفي التشبيه من غير اثبات الصفات قالوا هذا جهمي
معطل وهذا كثير في كلامهم والجهمية والمعتزلة الى اليوم يسمون من اثبت شيا من
الصفات مشبها كذبا منهم وافتراء حتى قال ثمامة بن اشرس من رؤسا الجهمية
ثلاثة من الانبيا مشبهة موسى حيث قال ان هي الا فتنتك وعيسى حيث قال
تعلم ما في نفسي ولا اعلم ما في نفسك ومحمد حيث قال ينزل ربنا كل ليلة الى سماء
الدنيا وحتى ان جل المعتزلة يدخل عامة الايمة مثل مالك واصحابه والثوري
واصحابه وابي حنيفة واصحابه والاوزاعي واصحابه والشافعي واصحابه واحمد
واصحابه واسحاق بن راهويه وابي عبيد وغيرهم في قسم المشبهة واطال
ابن تيمية الكلام على ذلك وعلى تاييد مذهب السلف في عدة كراريس ثم
قال ومن كان عليما بهذه الامور تبين له بذلك حذق السلف وعلمهم وخبرتهم
حيث حذروا عن الكلام ونهوا عنه وذموا اهله وعابوهم وعلم ان من ابتغى الهدى
في غير الكتاب والسنة لم يزدد الا بعدا فنسال الله العظيم ان يهدينا الصراط
المستقيم صراط الذين انعمت عليهم غير المغضوب عليهم ولا الضالين
قال مولفه تم وكمل في جمادي الاخيرة بمصر المحروسة عام اثنين وثلاثين والف